

دروس من الثورة الإسلامية في إيران
القسم الثاني



الشيخ محمد مهدي الآصفي

بسم الله الرحمن الرحيم

مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات
الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله

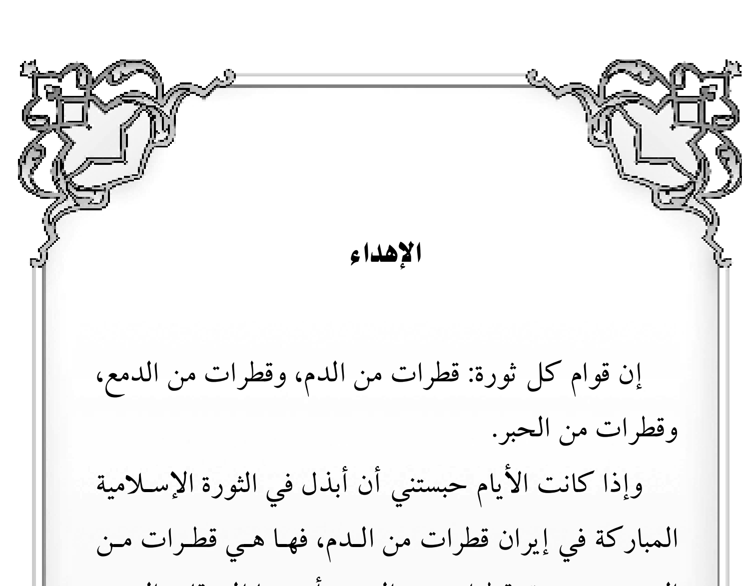
اسم الكتاب: .... الأعماق الحضارية للثورة الإسلامية المعاصرة

المؤلف:... محمّد مهدي الآصفي

الطبعة الأولى: .... ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠م

الكمية .... ٣٠٠٠ نسخة

المطبعة: .... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف



الإهداء

إن قوام كل ثورة: قطرات من الدم، وقطرات من الدمع، وقطرات من الحبر.

وإذا كانت الأيام حبستني أن أبذل في الثورة الإسلامية المباركة في إيران قطرات من الدم، فها هي قطرات من الحبر، ممزوجة بقطرات من الدمع، أهديها إلى قائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني ﵀، والى أرواح الشهداء الأبرار من الشعب الإيراني المسلم المجاهد...

محمد مهدي الآصفي

مقدمة

الثورة الإسلامية ـ التي قام بأعبائها الشعب الإيراني المسلم بقيادة الإمام الخميني الراحل رحمه الله في السنوات الأخيرة، والتي تمخضت عنها الجمهورية الإسلامية في إيران، وآذنت بمرحلة جديدة في تاريخ العالم السياسي المعاصر ـ تعتبر واحدة من أكبر أحداث التاريخ الإنساني المعاصر، وأحفلها بالتجارب، وأغناها بالمفاهيم والأفكار، وأكثرها تأثيراً في مسار أحداث التاريخ السياسي في عصرنا.

وقد كان في هذه الثورة الإسلامية المعاصرة ـ كأية ثورة أخرى ـ نقاط قوة ونقاط ضعف، وتجارب ناجحة وأخرى لم يكتب لها النجاح، وأعمالاً ومشاريع وشعارات نبعت من متن الثورة، عمقت الثورة وكرّستها على الصعيدين الإسلامي والعالمي، كما ظهر فيها أعمال وشعارات أضرّت بالثورة وأضعف دورها فيهما.

ولمّا كانت هذه الثورة بداية لمرحلة جديدة في التاريخ الإسلامي المعاصر وإيذاناً باتّساع رقعة الثورة الإسلامية في العالم، واحتدام المواجهة بين الإسلام والكفر، كان حريّاً برجال الفكر

والحركة الإسلامية أن يعطوا هذه الثورة الكثير من اهتمامهم وعنايتهم وأفكارهم.

وانطلاقاً من هذا الإحساس قمت بإلقاء مجموعة من المحاضرات عن الثورة الإسلامية في إيران في عدد من المؤتمرات والندوات الإسلامية، وهذه حلقات ثلاثة من تلك المحاضرات وهي:

١ ـ في علاقة الثورة بالله، وهي محاضرة ألقيت في المؤتمر السنوي لرابطة الشباب المسلم في لندن عام ١٩٧٩.

٢ ـ الأعماق الحضارية للثورة الإسلامية المعاصرة، وهي مجموعة ثلاثة محاضرات ألقيت في رابطة الشباب المسلم بلندن عام ١٩٨٣.

٣ ـ خطّ الإمام، وهي محاضرة ألقيت في مؤتمر الكوادر الإسلامية العراقية بطهران في ربيع الأول سنة ١٤٠٥.

وطبعت هذه المحاضرات في ثلاث حلقات وأعيد طبع بعضها مرّات عديدة خلال هذه الفترة.

أسأل الله تعالى أن يوفقني لإخراج سائر حلقات هذه المحاضرات والدروس تباعاً، وهو الملهم والموفق للسداد والصواب.

محمد مهدي الآصفي — قم ـ ٢٩ ربيع الثاني ١٤١٠هـ

١. مسؤوليتنا تجاه الثورة الإسلامية :

هل نحن مسؤولون تجاه الثورة الإسلامية؟؟
ولماذا؟

وما هو حجم هذه المسؤولية؟ وما هي الوسائل الممكنة لتنفيذ هذه المسؤولية، وأدائها؟

هذه هي الأسئلة التي أود أن أطرحها في هذا المؤتمر للبحث والإجابة.

والإجابة على هذه الأسئلة مفيدة، وضرورية للعاملين في سبيل الله، والدعاة إلى الله تعالى اليوم، ليعرفوا دورهم، ومسؤوليتهم الشرعية تجاه الثورة الإسلامية في كل العالم الإسلامي، وليقوموا بواجبهم الشرعي تجاهها، بوعي وقناعة.

فلقد دخلت هذه الثورة المباركة عنصراً جديداً فاعلاً ومؤثراً على درجة كبيرة جداً، في الساحة الإسلامية السياسية والجهادية، وغيّرت الثورة كثيراً من الثوابت السياسية، والحسابات، والمعادلات السياسية في المنطقة، وفي العالم لصالح الإسلام، وأصبح المستحيل ممكناً، والممكن مستحيلاً.

فليس من شك أن هذه الثورة المباركة، بهذه الصورة المبكرة، كانت شيئاً أكبر من الطموح في حياتنا المعاصرة. فما كنا نطمح أن نحققه خلال فترة طويلة من الزمان، حقّقه الله تعالى خلال فترة سنة ونصف تقريباً، في ثورة أصيلة عامة شاملة على أرض إيران، يقودها شيخ في الثمانينات من عمره المبارك، من ذرية رسول الله ﷺ، تذكرنا قسمات وجهه بأصحاب رسول الله ﷺ، الذين حملوا همّ الرسالة بعزم وتصميم وإيمان ويقين بوعد الله.

تحقّقت هذه الأمنية الكبرى في حياة المسلمين ـ عودة الإسلام إلى الحكم ـ خلال فترة قصيرة، عمّتها ثورة شاملة لم تبق، ولم تذر للظالمين أساساً في هذه المنطقة، وفجّرت الأرض من تحت عروشهم براكين، وأقامت للإسلام دولة مباركة في الأرض بعد أمد طويل.

الضمانات الربانية لحماية الثورة :

وهيّأ الله تعالى لهذه الثورة من وسائل الأمن والسلامة، ما يكفي لتوفير الحماية الكافية لها، وسط هذه الأجواء السياسية، والأدوات العسكرية والوسائل الإعلامية الصاخبة، ووسائل قوى الاستكبار

العالمي الجهنمية، لضرب الثورة ومصادرتها، وضرب أية حركة إسلامية واعية في المنطقة الإسلامية، تعمل للتخلص من شَرَك الاستعمار الغربي والشرقي.

لقد هيّأ الله تعالى لهذه الثورة من أسباب الحماية والأمن، ما يكفي لسلامتها وإفشال المؤامرات التي كانت تعمل للكيد بها.

العامل السياسي:

فقد استطاعت الثورة الإسلامية أن تمر بذكاء، من خلال مضيق التنافس السياسي بين الكتلة الشرقية والغربية، دون أن تنزع إلى هذه الكتلة أو تلك.

فالكتلة الشرقية كانت تشهد بارتياح انفلات إيران من قبضة الاستعمار الأمريكي، من دون أن يكلف ذلك الاتحاد السوفيتي شيئاً، وكانت تراقب عن كثب هذه الثورة الإسلامية العارمة التي تلتهب بحرارة عالية وتحرق قواعد ومراكز القوة الأمريكية، ومواقع النفوذ الأمريكي في إيران.

وبذلك فقد حققت الثورة الإسلامية هدفاً مهماً من أهداف الكتلة الشرقية، وكان السياسيون السوفييت يعتقدون في نفس

الوقت، إن إيران إذا خرجت عن قبضة السياسة الأمريكية فسوف لن تجد محيصاً من الالتحاق بدائرة النفوذ السوفيتي، وسوف يكون الاستكبار الشرقي هو البديل الطبيعي الذي يحل محل النفوذ الأمريكي في إيران.

لقد كان من الواضح جداً أن الدوائر السياسية في الاتحاد السوفيتي، لم تكن تفهم الطبيعة المستقلة والأصيلة للثورة الإسلامية، وكانت تفهم هذه الثورة كسائر المؤامرات العسكرية التي تجري في المنطقة: خروج من دائرة نفوذ إحدى الكتلتين، وانضمام إلى دائرة الكتلة الأخرى.

كان الاتحاد السوفيتي يعتقد أن هذه الثورة سوف تحقق هذه الخدمة الكبيرة للنفوذ السوفيتي في المنطقة، فكانت تتابع أحداث الثورة باهتمام، وتعلن عن مواقفها الإيجابية تجاه الثورة، ورفضها لأي تدخل أمريكي في إيران، وكان واضحاً لدى الدوائر الأمريكية إن الاتحاد السوفيتي سوف لن يقف مكتوف اليدين تجاه أية محاولة أمريكية، لاستعادة إيران إلى دائرة نفوذها الأول، بعد هذه الثورة.

وكانت السياسة الأمريكية ـ في نفس الوقت ـ تعمل على أن لا تدفع إيران الثورة نحو الاتحاد السوفيتي بتدخلها السافر في مسيرة الثورة، وان لا تقطع آخر الجسور والخيوط التي تربطها بالنظام الجديد ـ وقد بقي الإحساس من جانب أمريكا بضرورة التمسك والمحافظة بما تبقي من العلاقات الإيرانية الأمريكية ـ طيلة الحكومة المؤقتة الأولى للثورة الإسلامية، وكانت أمريكا، انطلاقاً من وجهة النظر هذه، تتجنّب قدر الإمكان أية مواجهة شديدة بينها وبين حكومة الثورة.

ومن بين هذه التصورات والتقديرات السياسية السوفيتية والأمريكية، استطاعت الثورة الإسلامية ـ بحول الله ـ أن تمر بسلام.

وكان الإمام الخميني رحمه الله يقدّر هذه الظروف السياسية بدقة، عندما كان يقول: (إن أمريكا لن تستطيع بحال من الأحوال أن تتجاوز حدودها).

العامل الجغرافي:

كما إن الله تعالى حمى هذه الثورة من قوى الاستكبار العالمي، بموقعها الخاص في قلب المنطقة، التي تختزن اكبر كمية من

احتياطي العالم من الوقود.

فإن منطقة الخليج الفارسي، التي تفجرت فيها الثورة الإسلامية، تحفظ في جوفها أكبر المخازن الاحتياطية للنفط، التي ادّخرها الله تعالى للبشرية في المراحل المتطورة من حياتها.

وحياة الغرب وصناعته وزراعته المتطورة، وحربه وسلمه، وآلياته ومحركاته الضخمة مرتبطة ارتباطاً مباشراً بسلامة هذه المنطقة. والغرب يعرف هذه الحقيقة معرفة دقيقة، ولذلك فقد كان من الحماقة أن تعرّض أمريكا هذه المنطقة للهيب الحرب، وتشعل فيها نيران الحرب، فإن أصابع العابثين بأمن المنطقة هي أولى الأصابع التي تحترق في هذه الحرب.

وهذا الرأي يوضح لنا قلق الدول الكبرى والأنظمة الرجعية في المنطقة من استمرار الحرب التي فرضها النظام العراقي على الجمهورية الإسلامية.

فلاشكّ أن أمريكا أعطت الضوء الأخضر للنظام العراقي في إشعال نيران الحرب، ولاشك أن أمريكا وحلفاءها وعملاءها في المنطقة كانوا يدعمون (صدام التكريتي) باستمرار، في حربه مع

النظام الإسلامي في إيران، ولاشك أن أمريكا قلقة كل القلق من تصاعد الحرب واستمرارها وامتداد لهيبها إلى آبار النفط في المنطقة، وأنها جادة في إيجاد حل لإنهائها، بعد مرور قرابة ثلاث سنوات من اشتعالها.

ولو أنها كانت تجد بديلاً لصدام حاكم العراق، لما توانت في إسقاطه لغرض إنهاء الحرب. إلاّ أن أمريكا ترى أن الحل الإسلامي هو الحل الوحيد الذي تتجه إليه الأمة، وتخاف أن يفلت الأمر من قبضتها في العراق، كما فلت الأمر من قبضتها في إيران من قبل، إذا سقط النظام في العراق.

وبذلك نستطيع أن نفهم الموقف المتناقض من قبل أمريكا وعملائها وحلفائها والأنظمة الرجعية في المنطقة. إنها بالتأكيد تريد إسقاط الثورة الإسلامية ومصادرتها، ولكنها في نفس الوقت لا تريد إغراق هذه المنطقة بالمشاكل العسكرية والسياسية، وتحرص على سلامة المنطقة، وأمنها والاستقرار فيها.

لقد كان النظام العراقي يتصور أن هجوماً جوياً وبرياً صاعقاً، كالذي صنعته إسرائيل تجاه الدول العربية عام ١٩٦٧م، يكفي

لإسقاط الجمهورية الإسلامية، والثورة الإسلامية، في بضعة أيام، وللاستيلاء على خوزستان، باسم جمهورية الأحواز العربية، وضمها إلى العراق، أو جعلها في دائرة النفوذ السياسي للنظام العراقي، وليخرج صدام من هذه المعركة في زهو الأبطال المنتصرين، بطلاً لقادسية العرب في القرن العشرين.

فيقدم بذلك خدمة لأمريكا، وللأنظمة الرجعية في المنطقة، ولكرسيه الذي يجلس عليه، قبل كل شيء.

تلك كانت حسابات صدام وأسياده، والتي ورطته في هذه المعركة.

ولم يكن يتصور صدام أن ذلك الزهو الذي حققته الأيام والشهور الأولى من المعركة سوف يخلف الويل والثبور على عرشه ونظامه وحكمه، وان الحرب التي أشعل نارها سوف تحرق أصابعه وتحرق عرشه قبل كل شيء، وأنه سوف يستغيث بكل الأنظمة الرجعية في المنطقة، وبأسياده من ورائهم، وبكل المؤسسات والهيئات الدولية، لإنهاء الحرب ولن ينفعه ذلك.

❊ ❊ ❊

العامل الاقتصادي:

إذن، فقد توجهت المشيئة الإلهية لحماية الثورة بموقعها الجغرافي الحساس.

كما أن الله تعالى حفظ الثورة بنفس السبب، باعتبار آخر. فقد كان لوجود الثروة النفطية الكبيرة على ارض إيران أثر كبير ـ بلا شك ـ في حماية الثورة وسلامتها من الناحية الاقتصادية.

وكانت آبار النفط تعوض كل الخسائر التي تحملتها الثورة، سواء الخسائر التي ترتبت على الثورة قبل قيام الدولة الإسلامية، أو التي تعرضت لها الثورة بعد قيام الدولة المباركة.

وما كانت الثورة تستطيع أن تتماسك من الناحية الاقتصادية بعد الإضرار الكبيرة التي لحقتها من الناحية المادية، وتبدأ بالبناء والعمران، وتعويض الخسائر، لولا هذه الثروة التي منحنا الله تعالى إيّاها وجعلها في خدمة الثورة.

فقد كانت خسائر وخراب الحرب وحدها تكفي لإفشال أية ثورة، لا تحفّها الرعاية الإلهية.

إلاّ أن الثروة المعدنية ـ وبشكل خاص النفط ـ التي ادّخرها الله

تعالى للإسلام والمسلمين، كان لها دور كبير في توفير الحماية والأمن الاقتصادي للثورة، وقد منحت الثورة قدرة وقابلية على الصمود والمقاومة تجاه الضغوط الكبيرة، التي واجهتها خلال هذه الفترة القصيرة، من قبل الاستكبار العالمي وعملائه في المنطقة.

العامل الحضاري:

والعامل الحضاري بدوره كان له تأثير فعال في حماية الثورة، فقد احتضن الشعب الإيراني بكل قومياته: الفارسية، والعربية، والتركية، والكردية، والبلوش ـ هذه الثورة، وتبنّى الدفاع عنها وحمايتها. والشعب الإيراني شعب عريق وأصيل في تديّنه والتزامه وتبنّيه للإسلام. وقد تمكن الإسلام من روح هذا الشعب وقلبه وعقله، وتفاعل مع الإسلام منذ الأيام الأولى لظهور الإسلام تفاعلاً قوياً، واندكّت شخصيته القومية، والوطنية في الإسلام، كما اندكّت وذابت حضارته في هذا الدين.

وقد نشأ في أحضان هذا الشعب كبار علماء المسلمين المجاهدين في مختلف حقول الفكر الإسلامي في الفقه وأصول الفقه، والفلسفة، والعرفان، والأخلاق والكلام، والتفسير، وعلوم

القرآن، والحديث، والسيرة والتاريخ، والرجال، وغير ذلك من فنون المعرفة والفكر الإسلامي.

وارتبط هذا الشعب بشكل خاص بأهل البيتعليهم السلام، وخطّهم، وتعاليمهم، وأحاديثهم، وحياتهم، ارتباطاً عاطفياً وعقلياً واعياً، بشكل قوي ومؤثر، يندر وجوده في أية بقعة من بقاع العالم الإسلامي. وحياة أهل البيتعليهم السلام تقترن ـ على امتداد التاريخ الإسلامي ـ بالتضحية والثبات، ومقارعة الظلم والقيم الأخلاقية. ولكل هذه المعاني والفصول والقيم من حياة أهل البيتعليهم السلام تأثير فعال في حياة هذه الأمة. ونخص بالذكر من هذه الفصول، فصول التضحية والفداء والشهادة من حياة الإمام الحسينعليه السلام.

وقد أصبحت كل هذه الفصول والقيم جزءاً لا يتجزأ من شخصية الشعب الإيراني بمختلف قومياته.

ولاشك أن لهذا العامل الحضاري والامتداد التاريخي دوراً مؤثراً في حماية الثورة وبقائها وسلامتها. فلم تفلح المخططات الأمريكية في إجهاض الثورة، ومصادرتها، والقضاء عليها.

ورغم أن صدام حسين كان يضرب على وتر حساس، عندما

كان يعبر عن هذا الشعب المؤمن العريق في الإسلام بـ (المجوس)، فإن هذا الإعلام الخبيث سرعان ما تبخّر.

ومن طريف ما ينقل: إن بعض المجوس الإيرانيين الذين هربوا برؤوس أموالهم الضخمة بعد الثورة واحتضنتهم ـ مع حفنة من البهائية ـ الدول الرجعية في المنطقة.. احتجوا على وصف الثورة الإسلامية بالمجوسية واعتبروا ذلك إهانة موجّهة إليهم، وأبلغوا اعتراضهم للنظام العراقي بصورة رسمية، فاعتذر النظام العراقي، وخفّف من هذه التهمة في وسائله الإعلامية.

ولو أن هذه الثورة كانت نابعة من تربة حضارية رخوة، لكان يمكن أن تقتلعها الأعاصير الشديدة التي أثارتها قوى الاستكبار العالمي بوجه الثورة. ولكن الثورة الإسلامية تفجرت في قاعدة حضارية صلبة وصعبة وقوية، قاومت كل هذه الأعاصير، ولا تزال تقاوم والى اليوم.

ولاشك أن لأصالة هذا الشعب، وصلته القوية بالإسلام، وارتباطه بأهل البيتعليهم السلام دوراً كبيراً في ذلك.

المسؤولية المتقابلة بين الثورة والحركة الإسلامية المعاصرة:

هذه الثورة المباركة ـ إذن ـ تملك من ضمانات البقاء والدوام والاستمرار ما يمكنها من الثبات على أرض المعركة ـ بإذن الله ـ وأولي هذه الضمانات وأهمها، والتي تتبعها سائر الضمانات.. رعاية الله تعالى لهذه الثورة، والتي تراءت لكل ذي عينين، ممّن آتاه الله تعالى بصيرة، وفهماً، خلال هذه المدة.

ولابد أن يكون لهذه الثورة المباركة شأن كبير، في تاريخ هذه الأمة، وفي حياة وعمل الحركة الإسلامية المعاصرة.

فقد قطعت الحركة الإسلامية المعاصرة أشواطاً من الطريق، ما كانت تقطعها لولا انتصار الثورة الإسلامية، وقرّبت هذه الثورة المباركة البعيد، وذلّلت العقبات الصعبة في الطريق.

إن الحركة الإسلامية لم تكن تملك من قبل هذا قاعدة صلبة للعمل، تنطلق منها وتلجأ إليها، ولذلك كانت تلجأ في أكثر الأحيان إلى السرية في العمل، والتحرك.

ومنذ اليوم الأول لنجاح الثورة الإسلامية، فقد اعتبرت ـ هذه الثورة ـ القاعدة الصلبة، التي منها تنطلق الحركة الإسلامية واليها

تأوي وتلجأ، ومن على منابر هذه الثورة في العالم ترفع الحركة الإسلامية صوتها، وتعلن ظلامتها ومطالبها، وتجد في هذه الثورة معيناً لا ينضب ـ إن شاء الله ـ من الإمداد المادي والمعنوي، الذي تحتاجه الحركة الإسلامية.

إن الحركة الإسلامية المعاصرة قد تهيأ لها، بفضل الله تعالى في هذه الثورة المباركة كل ما تحتاجه من دعم وإعلام وتأييد، ورأي وقوة ومنطلق تنطلق منه، وملاذ تلوذ إليه.

فلا غنى للحركة الإسلامية المعاصرة في كل العالم الإسلامي عن الثورة، والجمهورية الإسلامية.

كما لا غنى للثورة الإسلامية والجمهورية الإسلامية عن الحركة الإسلامية.. في العالم الإسلامي.

فإن الثورة الإسلامية تمتد إلى العالم الإسلامي، وتصدر قيمها الثورية وأفكارها الحركية من خلال مجموعة من الآليات الثقافية والإعلامية والحركية من أهمها الحركة الإسلامية.

إن الحركات الإسلامية المعاصرة بمختلف توجهاتها المذهبية السنية والشيعية، هي الجسور الممتدة بين العالم الإسلامي والثورة

الإسلامية، وعلى هذه الجسور تتقدم الثورة الإسلامية، وتمتد إلى العالم الإسلامي.

فلاشك أن الثورة الإسلامية لا تستطيع أن تؤدي رسالتها الإسلامية العالمية، إلاّ عندما تمتد إلى أقطار العالم الإسلامي إلى القرى والأرياف، والمساجد، والبيوت، والمصانع، والدوائر، والمكاتب، والمدارس، والمجلات، والمطابع، والى القلوب، والأفئدة، والأفكار.

وخير أداة تستطيع الثورة أن تستفيد منها في نقل أفكارها وقيمها، إلى هذه المناطق والمواقع من العالم الإسلامي، العلماء المتصدون للدعوة الإسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحركة الإسلامية المتصدية للعمل التغييري السياسي في هذه المناطق.

وللحركة الإسلامية في هذا المجال، دور كبير وفعال، فهي تستطيع أن تكسب شعوب العالم الإسلامي لصالح الثورة الإسلامية، وتستقطبها إلى جانب الثورة، وتكون لسان الثورة ورسولها.

إذن لا غنى للثورة الإسلامية عن الحركة الإسلامية، ولا غنى للحركة الإسلامية عن الثورة الإسلامية.

ونحن هنا في جو الحركة الإسلامية، في هذا المؤتمر، نود أن نبحث عن مسؤولية الحركة الإسلامية المعاصرة، تجاه هذه الثورة المباركة، ونعيد الأسئلة التي افتتحنا بها هذه المحاضرة:

ما هي مسؤوليتنا تجاه الثورة الإسلامية؟

وما هو حجم هذه المسؤولية؟

وما هي الوسائل التي تمكّننا من تنفيذ هذه المسؤولية الشرعية؟

العمق الحقيقي للثورة:

ولنقف، قليلاً، عند الأبعاد الحقيقية لهذه الثورة، ومدلولها التغييري الشامل. إن الثورة الإسلامية لم يقتصر أمرها على تغيير في مناصب الحكم، وسقوط نظام، وقيام نظام آخر محلّه.

لقد تضمنت هذه الثورة ثورة في القيم والأفكار والمفاهيم، والرؤى والتصورات، وثورة في العلاقات الاجتماعية، وثورة في قواعد العمل السياسي، وثورة في مراكز القوى والموازنات والمعادلات السياسية.

وقد تمكنت هذه الثورة من اجتثاث جذور الكثير من الأفكار والتصورات والرؤى التي ترسّبت في مجتمعنا الإسلامي، في هذه الفترة الطويلة من الدهر، التي تغلغل الاستعمار فيها في صفوفنا، واستطاعت الثورة أن تستبدل هذه المفاهيم إلى مفاهيم نابعة من صلب الإسلام.

لقد أعادت الثورة الإسلامية إلى مجتمعنا، الكثير من مفاهيمنا الإسلامية ورؤاها، وتصوراتها الأصيلة، كما أعادت إليه الكثير من مصطلحاتنا وشعاراتنا.

لقد أنستنا السنوات العجاف، التي مرّت بنا، خلال فترة نفوذ الاستكبار العالمي في العالم الإسلامي، مصطلحاتنا وشعاراتنا، واستبدلنا بها المصطلحات، والشعارات الغربية. كما أنستنا هذه السنوات العجاف لغتنا وشخصيتنا، واستبدلنا بها اللغة الأجنبية. كما استبدلنا بشخصيتنا شخصية أخرى، ليست منا، واستبدلنا بعاداتنا وتقاليدنا عادات وتقاليد نابعة من غير مجتمعنا. وبذلك فقد كنّا ـ من غير أن نعلم ـ في طريق مسخ حضاري، نفقد كل ما هو أصيل في شخصيتنا وتقاليدنا وأعرافنا وأفكارنا وفهمنا، وتاريخنا، ولغتنا، واكتسبنا مكان ذلك كله، تلك الحضارة المستوردة، التي فرضت

علينا من قبل الأنظمة الذيلية، التي كانت تحكم بلادنا هذه المدة، وتدافع عن مصالح القوى الاستكبارية بكل حرص واهتمام، وتنقل إلينا أفكارها وتصوراتها وتقاليدها وأعرافها عبر السينما، والتلفزيون، والراديو، والصحافة، والكتاب، والمدرسة.

ثم جاءت الثورة الإسلامية كالزلزال لتجعل عاليها سافلها، في حركة ثورية قوية، واستعادت فيها الأُمّة الملامح الحقيقية لشخصيتها وفهمها وحضارتها وتاريخها، وأخلاقها. وتغيّر كل شيء في حياة الناس، حتى العلاقات الاجتماعية، فتقاربت القلوب المتنافرة، وتعاطف الناس، وظهرت المودة والتعاون في حياة الناس، بشكل لا مثيل له من قبل.

وتغيرت المقاييس الاجتماعية في التقييم، فالوضيع أصبح رفيعاً، والوجيه أصبح وضيعاً، وتغيرت مراكز القوى في المجتمع، فتحولت المراكز الحساسة في المجتمع إلى طبقة مستضعفة، لم يكن لها شأن من قبل، وتحولت الطبقة الحاكمة والتي كانت تمسك بأزمّة الأمور من قبل، إلى هامش المجتمع.

وهكذا تغير كل شيء في البنية الاجتماعية للمجتمع، وذلك أن

الثورة غيّرت الإنسان المسلم، وإذا تغير الإنسان المسلم في تصوّراته ورؤاه وفهمه، تغيّر كل شيء من حواليه.

ولذلك قلنا: إن هذه الثورة كانت تشبه الزلزال الذي يجعل عاليها سافلها، في فترة قصيرة.

وثورة بهذا العمق لابد أن يكون تأثيرها عظيماً على موازنات ومعادلات القوى في المنطقة.

ولابد أن يكون لها دور فعال في القضاء على حالة الركود السياسي في المنطقة الإسلامية.

فقد قادت الثورة أُمّة من المستضعفين، لا يملكون من أدوات القتال والمواجهة المسلحة غير الأحجار المنتشرة على أرصفة الشوارع في أفضل الحالات، وغير قبضات الأيدي، التي كانت ترتفع في وجوه الحكام الظالمين بغضب وسخط.

واستطاعت هذه الأمة أن تدكّ بقبضات أيديها، وهتافاتها المدوية بالتكبير، قلاع الكفر، والاستكبار العالمي في إيران. وأن تزعزع القواعد العسكرية الضخمة التي كانت تحمي المصالح الأمريكية في هذا البلد الإسلامي.

وقد كان النظام الشاهنشاهي في إيران يمثل جزيرة الثبات بالنسبة إلى السياسة الأمريكية في المنطقة. فكانت أمريكا تنظر إلى النظام الشاهنشاهي وإلى شخص الشاه بنظر الثقة، والاطمئنان، وشاء الله تعالى أن تتعرض هذه الجزيرة السياسية، التي كانت تضع أمريكا ثقتها فيها بشكل مطلق، لهذه الزوبعة، التي لم تبق ولم تذر لأمريكا فيها موضع قدم قبل أي إقليم آخر في هذه المنطقة.

وكانت الأمة الإسلامية تتابع أخبار الثورة وانتصاراتها المتلاحقة، وسقوط القلاع الأمريكية في المنطقة واحدة بعد أخرى، بحرص واهتمام، ولاشك أن انتصار الثورة الإسلامية، وسقوط النظام الشاهنشاهي ترك أثراً نفسياً عميقاً في هذه الأمة، ودعا الأمة إلى أن تراجع حساباتها، كما دعا قوى الاستكبار العالمي أن تعيد حساباتها من جديد.

فإن الطلسم السحري، الذي كان يحمي قوى الاستكبار العالمي، في المنطقة، وذيولها العميلة، التي كانت تمارس الحكم في بلادنا... بطل مفعوله، وأمكن لابن الشارع أن يتجاوزه خلال هذه الثورة.

فلقد كان جدار الخوف هو وحده الذي يحمي هذه الأنظمة الذيلية العميلة في المنطقة، وأسيادها في الشرق والغرب. وكانت هذه الأنظمة تحكم وتتحكم بالرعب والإرهاب... وكان هذا السلاح هو السلاح المفضل لحكام المنطقة، في السيطرة على المنطقة الإسلامية، وفي المحافظة والإبقاء على نفوذ الاستكبار العالمي ومصالحه فيها.

فحطّمت هذه الثورة جدار الخوف، وأصبح الإنسان المستضعف يتمكّن من الوقوف بوجه السلطة، والصراخ بحقه، والهتاف بموت أمريكا والسوفييت وإسرائيل، وسقوط الأنظمة العميلة لها.

فلقد علّمتنا هذه الثورة أن القوة الأسطورية لهذه الأنظمة، ليست إلاّ أسطورة من نسج الوهم والخوف.

وان بالإمكان أن يتجاوز ابن المدينة، وابن الريف العادي بقبضة يديه، وبقلبه العامر بالثقة بالله تعالى، هذه الأنظمة ووسائلها الإرهابية.

وان آخر ما تستطيعه هذه الأنظمة من وسائل الإرهاب، والضغط، هو التعذيب، أو القتل، وذلك أقصى ما يتمناه المؤمن في

سيره إلى الله تعالى.

وان أكثر ما يستطيع الطاغية أن يسلبه من المؤمن، حريته وحياته، وهذه الدنيا الزائلة، وذلك أقلّ ما يستطيع أن يقدمه الإنسان المؤمن إلى الله تعالى.

فهذه الثورة كسرت السدود والحواجز، التي كانت تحمي الحكام في منطقتنا الإسلامية، وأسقطت هيبة الحاكمية، وأعادت إلى الأمة هيبتها، وإلى الإسلام قوته الحقيقية، الفاعلة والمؤثرة على الصعيد السياسي، وكسرت شوكة الأنظمة العميلة، وقوى الاستكبار التي تمدّ، وتساند هذه الأنظمة.

ولاشك أن أمريكا وروسيا يجدان في ذلك خطراً على كيانهما، ومصالحهما في المنطقة الإسلامية، وعلى ثبات المنطقة السياسي، أكثر من أي خطر آخر.

إن كلا من الدولتين العظميين (كذا)، لا يخافان من التوسع الهائل في صنع ونصب الأسلحة الإستراتيجية الذرية، الذي يقوم به الطرف الآخر، بقدر ما يخافان من انطلاق الإنسان المسلم في المنطقة الإسلامية من قيود الوهم والتبعية والذيلية.

إن الأسلحة الاستراتيجية يمكن السيطرة عليها، ولكن الإنسان المسلم، إذا انفلت من عقاله، الذي عقله به الطاغوت، وتحرّر من قيوده، فلا يمكن السيطرة عليه بحال. وإذا تجاوزت هذه الثورة العقبات التي يزرعها الاستكبار العالمي في طريقها، واستطاعت أن تمتد إلى العالم الإسلامي، وترفد العالم الإسلامي بهذه الروح الثورية الإسلامية، والشجاعة، والإقدام، والثقة بالله، والغضب، والسخط، فلا يستطيع الاستكبار العالمي أن يقاوم هذا الزحف الإسلامي الكبير، ولا يبقى له موضع قدم في الأرض الإسلامية.

إن الاستكبار العالمي بجناحيه: الغربي، والشرقي، يدرك جيداً هذه الحقيقة، ويدرك جيداً إن لهذا الحدث التاريخي ما وراءه، وان هذه الثورة ليست كغيرها من الأحداث في تاريخنا المعاصر، وأنها تشكل منعطفاً تاريخياً حساساً في حياة هذه الأمة.

وهذا هو سرّ الاهتمام الكبير، الذي يبذله الاستكبار العالمي بكل أطرافه وأجنحته، بأمر هذه الثورة.

ومن الصعب أن نجد في حياتنا السياسية المعاصرة أمراً يكتسب كل هذا الاهتمام، من أطراف سياسية بعيدة ومتناقضة ومتضاربة، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، كالثورة الإسلامية.

الثورة الإسلامية تراكم من الفعل والانفعال :

عندما نسبر ـ بدقة ـ عمق هذه الثورة، ونتحرى جذورها وأسبابها، نجد أن هذه الثورة كانت حصيلة تراكم من العمل والفعل الإيجابي المستمر، وتراكم من الانفعال والحرمان والاضطهاد.

ومن هذين الأمرين تكونت هذه الثورة، ولابد أن نفتح هذا الحديث بعض الشيء.

تراكم من الفعل :

خلال فترة الصحوة الإسلامية، انصرف الكثير من أبناء هذه الأمة المخلصين، إلى العمل الجاد والصادق، لإعادة الإسلام إلى مجاري الحياة، بعد أن تمكّن المستعمر الكافر من إقصاء الإسلام من حياة الأمة.

وكانت هذه الجهود تتجه نحو هدف واحد من أنحاء مختلفة، وبصور كثيرة، ومن كل أقطار العالم الإسلامي تقريباً.

فكانت هناك الحوزات العلمية التي ترفد المساجد، والبلاد، والمدارس، والمنابر والأوساط الاجتماعية، بالعلماء والأئمة

والخطباء والمفكرين والكتّاب، وكان هذا هو المعين الأكبر خلال هذه الفترة.

وكانت هناك الحركات الإسلامية التي تعمل سراً أو جهاراً، في مختلف أقطار العالم الإسلامي. وهناك الجماعات الإسلامية العاملة، والمدارس والمساجد والمكاتب، والمؤسسات الإسلامية والهيئات الصغيرة والكبيرة، وهناك المعين البشري لهذه النشاطات الإسلامية من شيوخ وشباب، وعلماء وطلبة، وأساتذة، وتجار، وعمال، وموظفين وغير ذلك.

وهذه المؤسسات وأولئك الناس، كانوا يعملون جميعاً لإعادة الإسلام إلى صلب الحياة وبإيمان وإخلاص، ولاشك أن هذه الأعمال المتفرقة، والنشاطات الموزعة، كانت تشكل بمجموعها فعلاً عظيماً في الساحة الإسلامية، وتراكماً هائلاً من الفعل المؤثر الإيجابي، باتجاه إقامة الحكم الإسلامي، على وجه الأرض.

تراكم من الانفعال:

وفي نفس الوقت كان يجري ظلم شامل في المنطقة الإسلامية، من قبل الحكام، وأتباعهم، وأسيادهم، وبكل الأشكال

المتصورة: ظلم إداري، وسياسي، واقتصادي، واجتماعي، وثقافي، وديني، وقومي، ومذهبي، ومن كل جوانب الحياة، ظلم شامل وعريض، وعدوان على أموال الناس، وكراماتهم، وحقوقهم، وحريتهم، وأعراضهم، ومقدساتهم، ومطاردة المؤمنين في أرزاقهم، ومضايقتهم في حرياتهم وسجنهم وتعذيبهم، وتهجير عشرات الآلاف منهم وإعدامهم بصورة اعتباطية، ومن دون أي مقاييس ومعايير وأصول.

لقد تعرضت الأمة الإسلامية، في هذه الفترة من تاريخها، لظلم فظيع يقلّ نظيره، وان أنواع الظلم والعدوان، الذي وقع خلال هذه الفترة على العاملين والمستضعفين من هذه الأمة فوق حدود التصور، وان العذاب الذي كان يصبّه المجرمون على العاملين في سبيل الله، في الزنزانات فوق حدود التصور، وان الاستهانة بحقوق الناس، وكرامتهم، وحريتهم، ومستقبلهم، وأعراضهم، وشؤونهم الشخصية، أمر فوق حدود التصوّر.

ولاشك أن هذا الركام من الظلم والعدوان والحرمان والاضطهاد إذا انضم إليه تراكم الفعل والعمل، الذي تحدّثنا عنه

قبل قليل، فإنه يستتبع انفجاراً هائلاً في المنطقة الإسلامية.

وكل المعنيين بالعمل الإسلامي، وذوي الخبرة والبصيرة بالمنطقة، كانوا يقدّرون أن انفجاراً هائلاً يتوقع حدوثه في هذه المنطقة، وفي وقت غير بعيد.

بلادة الحس السياسي للغرب:

ومن عجب أن أجهزة الرصد السياسي للاستكبار العالمي، وعملاءهم وذيولهم في المنطقة لم يحسّوا بقرب الانفجار، ولذلك فلم يأخذوا الاستعداد الكافي للوقاية منه، وللابتعاد عن لهيب الانفجار، وآثاره.

إن عجز الاستكبار العالمي عن تقدير خطورة الموقف السياسي في المنطقة الإسلامية، وبالتالي، استمراره في الاستهتار بالإنسان وكرامته، وبالإسلام وقوته، يبعث في نفس الإنسان الشك في فهم وإدراك أجهزة الاستخبارات والأمن الغربية والشرقية، وامتداداتها في هذه المنطقة. وان الإنسان ليعجب من هذه البلادة السياسية في مثل هذه الأجهزة الأمنية المعقدة، والشديدة التعقيد.

الانفجار في جزيرة الثبات:

إن أمريكا كانت تعتقد أن إيران تعتبر جزيرة الاستقرار والثبات السياسي في المنطقة، وأنها تضع قواعدها العسكرية وثقتها في إيران، على أرض صلبة أمينة... ولم تعلم أنها تضع قواعدها وخططها المستقبلية على فوهة بركان.. لا يعلم احد في أية لحظة يثور، فلا يبقي ولا يذر. وقد ثبت ـ ولا مجال للارتياب فيه ـ إنّ تقديرات الخارجية الأمريكية لما كان يجري في إيران، تقديرات خاطئة، بعيدة عن الواقع.

لقد كان يغلي موج الغضب، ويتصاعد مدّ العمل والجهاد داخل الأمة، وكان يتكون في عمق المجتمع ـ بهدوء وصمت ـ ثورة نابعة من صميم وآمال وأعمال الأمة... ولم ينتبه لكل ذلك الاستكبار العالمي.

محاولة الوقوف أمام زحف الثورة:

إن الذي حدث في إيران كان ثورة، بكل معنى الكلمة، ثورة نابعة من الأعماق تكونت بهدوء في عمق الحضارة الإسلامية، وتراكمت عواملها بمرور الزمان، حتى أصبحت تشكّل حتمية

تاريخية، لا يمكن اجتنابها بحال من الأحوال.

وحدثت الثورة، ووقع الانفجار الهائل، وكانت نقطة البدء في هذا الانفجار، إيران، وكان الانفجار هائلاً حقاً، لا يمكن لأحد أن يقف أمامه.. إن الثورة كانت عارمة وقوية، تسحق كلّ من يقف أمامها، ويعرقل سيرها بقسوة، وقوة.

إن عجلات الثورة كانت تطوي المسافات الزمنية الشاسعة بسرعة وقوة، وكانت تسحق كلّ من تحدّثه نفسه أن يتصدّى لوقف زحف الثورة.

ومرة أخرى أخطأت أمريكا في تقديرها لقوة الثورة واستمراريتها، كما أخطأت في المرّة الأولى في التنبؤ بحدوث الثورة، ووقوعها. ولو كانت أمريكا تعرف حقيقة قوة هذه الثورة، لم تكن تقف أمام زحف الثورة.

إن أمريكا حاولت أن تتصدى للثورة وتستوعبها وتحرّفها، ومدّت لذلك أذرعها، وحبالها، ورجالها إلى وسط تيار الثورة، فكان نصيبها صفعة أقوى من الصفعة الأولى، واحتلت الثورة السفارة الأمريكية وفضحت أسرار شبكاتها الجاسوسية، وقطعت

آخر خيوط الصلة مع أمريكا.. وقال الإمام الخميني﴿رحمه الله﴾ في ثقة واطمئنان: (وماذا نصنع بالصلة مع أمريكا؟) (إن امتنا تتخذ اليوم الذي قاطعنا فيه أمريكا عيداً).

الصفة الشمولية للثورة:

لقد كان وقع الثورة وقع الزلزال في المنطقة، اهتزّت له المنطقة بعنف، ولابد لكل انفجار من نقطة بداية، وكانت نقطة البداية في هذا الانفجار، إيران.

ولاشك أن إيران لا تزيد على أن تكون نقطة البداية لهذه الثورة المباركة وأرضاً صلبة، وقاعدة متينة لهذه الثورة. وإن هذه الثورة أوسع من إيران، وسوف تمتد إلى العالم الإسلامي كله، وتتجاوز الحدود السياسية، والإقليمية والجغرافية لإيران.

إن هذه الثورة لكل العاملين، وكل المستضعفين. ولقد ساهم في صنعها كل عامل في سبيل الله، وضع خطوة على طريق ذات الشوكة، وقطع شوطاً من الطريق، وشارك في وضع لبنة في بناء هذا الصرح.

وحتى ذلك العالم الديني الذي كان يجمع الناس حوله في

المسجد الصغير في قرية صغيرة نائية، ويبثّ فيهم روح العمل والجهاد، ويعطيهم دروساً في الإيمان والعمل والأخلاق في أقصى البلاد، وفي نقطة مجهولة من العالم الإسلامي له حصة، ونصيب ودور في صناعة هذه الثورة.

وذلك المعلم الذي كان يجمع أبناء المسلمين حوله في صف متواضع، ويدرّسهم مفاهيم الإسلام في العمل والجهاد، له نصيب في هذه الثورة.

ولقد ساهم في هذه الثورة كل من تحمّل شطراً من العذاب والحرمان من هذه الأمة، وكل من تحمّل ظلماً، أو عدواناً، أو اضطهاداً في سبيل الله، وكل الذين هجروا من ديارهم أو سجنوا، أو عذّبوا، أو قتلوا في سبيل الله. ولقد شارك في صنع هذه الثورة كلّ الشهداء، والسجناء، وكل الأرامل، والثكالى والأيتام. ولقد شارك في صنع هذه الثورة كل قطرات الدماء التي أريقت في سبيل الله، وكل قطرات الدموع التي بلّلت الطريق، وكل لوعة وآهة، وكل صرخات المعذبين تحت السياط، ومناجاة المسجونين في ظلمات الزنزانات.

أجل، قد ساهم كل أولئك، وكل ذلك، في صنع هذه الثورة وتفجيرها، كل أولئك شركاء في هذه الثورة المباركة ومساهمون فيها، علموا أم لم يعلموا، ولابد أن تمتد الثورة إلى كل العاملين والمحرومين الذين صنعوها عاجلاً، (ولا نقول عاجلاً أو آجلاً) وفي كل المنطقة الإسلامية إن شاء الله.

ولن تستطيع حدود وهمية سياسية أن توقف زحف المدّ الإسلامي الكبير المنحدر إلى هذه المنطقة المباركة من الأرض.

تعميق العلاقة العضوية بين الثورة وأبنائها :

إنّ على الحركة الإسلامية تعميق العلاقة العضوية بين الثورة الإسلامية، وكل العاملين، والمجاهدين، والمحرومين والمستضعفين في المنطقة الإسلامية.

إن علينا أن ننشر هذا الوعي في صفوف العاملين، والمحرومين على نحو سواء، ونشرح لهم صلة الرحم القريبة بينهم، وبين هذه الثورة المباركة، وان هذه منهم واليهم، ونتاج أفكارهم، وأعمالهم، وجهادهم، وجهودهم، ودموعهم، ودمائهم، وهي حصيلة عذابهم، وعنائهم، واضطهادهم، ومعاناتهم، على طريق ذات الشوكة.. فهم

أصحابها، وأولياؤها، وأولى الناس بها، وأقرب الناس رحماً بها، وانتصارها انتصارهم، وانتكاستها ـ لا سمح الله ـ انتكاسة لكل العاملين والمحرومين على وجه الأرض.

إن تعميق هذا الشعور والحسّ في نفوس العاملين والمحرومين من المسلمين في كل المنطقة الإسلامية، من أهم واجباتنا ومسؤولياتنا تجاه الثورة الإسلامية.

تعميق الإحساس بالمسؤولية تجاه الثورة:

والى جانب هذا الإحساس بالقربى، يجب أن نعمّق في نفوس العاملين والمستضعفين من المسلمين الإحساس بالمسؤولية تجاه الثورة. فإن هذه الثورة أوسع من إيران، وان إيران لا تزيد على أن تكون نقطة انطلاق للثورة فقط، ولذلك فان مسؤولية حفظ هذه الثورة، وتصعيدها، وامتدادها، واستمراريتها، واستقامتها، لن تقع على عاتق الجمهورية الإسلامية فقط، وإنما تقع على عاتق كل المسلمين العاملين في سبيل الله، والمحرومين والمستضعفين.

وبقدر ما نستطيع أن نعمّق هذا الشعور في نفوس المسلمين في العالم الإسلامي، نستطيع أن نستقطب الرأي العام الإسلامي، إلى

جانب الثورة، كما نستقطب السواعد، والقوى الصالحة لصالح الثورة، وإلى جانبها، وبالتالي نستطيع أن نساهم في دعم الثورة، وتصعيدها، وامتدادها إلى العالم الإسلامي، واستمراريتها.

٢. خط الثورة

خط الإمام في مسيرة الثورة، كان من أعظم مكاسب هذه الثورة المباركة بالتأكيد، رغم ضخامة وأهمية كل مكاسب الثورة في الحقول السياسية والفكرية والاقتصادية والجهادية.

وعلى قدر أهمية هذا الخطّ، وقيمته ودوره في بناء الثورة، واستمراريتها، تكون مسؤوليتنا تجاه الخطّ وحمايته.

وخلال السنوات القليلة قبل الثورة، وبعدها، لم يتعرض للخطر شأن من شؤوننا، كما تعرض الخط. فلقد كان هذا الخط موضع استهداف أعداء الثورة الإسلامية، قبل الثورة وبعدها.

وأعداء الثورة عندما يستهدفون خط الثورة، فإنما يستهدفون قلب الثورة، ويعلمون أنهم إذا أصابوا الخط فإنما يصيبون المقتل من جسم الثورة.

فإن الخط قلب الثورة وعقلها وروحها وقيمتها، ومن دون الخط لا تزيد الثورة على أن تكون انقلاب على الجهاز الحاكم في البلد، واستبدال وجوه بوجوه أخرى.

إن مصدر قوة ثورتنا وارتباطها بالأمة، وتفاعل الأمة معها، هو

وجود خطّ الإمام في صلب الثورة.

ووجود الخط هو الذي يجمع الناس حولها، ويربط الناس بها، ويحشد الأُمّة حولها، ويدعو الأمة إلى الوقوف إلى جانب الثورة والتضحية للثورة. ولذلك كان الإمام يقول، في خضم الصراع مع بني صدر وكتلته ـ من الذين تسلّقوا جدار الثورة واندسّوا في صفوفها، واحتلوا مواقع حساسة، في لحظة غفلة من الأمة، ثم بدأوا يستعرضون عضلاتهم السياسية أمام الناس.. ـ كان الإمام يقول لبني صدر في خضم هذا الصراع: (إن هؤلاء الناس لا يريدونك أنت ولا أنا، إنما يريدون الإسلام).

إن قضيتنا الأولى والأهم في هذه الثورة، مسألة الخطّ، وأما المسائل الأخرى فدورها دور ثانوي في مكاسب ومسائل الثورة.

لم يكن الهدف من الثورة، الأرض، أو النفط، أو المال، أو السلطة، وإنما كان الهدف الأساسي من هذه الثورة إعادة الخطّ الإسلامي الأصيل إلى صلب المجتمع، وتحكيم الأصول الإسلامية في الحكم، وتحرير الناس من الطاغوت، وتعبيدهم لله تعالى.

وتحكيم هذه الأصول يعيد إلينا ـ بالتأكيد ـ السيطرة على

الأرض، والمال، والسلطة، والنفط، ولكنه شيء آخر غير النفط والمال، والأرض، وأسمى منها جميعاً.

تحريف الثورة:

لقد حاول ـ بجهد وخبث ـ بعض المندسّين في صفوف الثورة في أيامها الأولى أن يحرفوا الثورة عن خطها الإسلامي الأصيل ورسالتها، إلى رسالة نفطية، ويجعلوا هذه الانتفاضة والثورة الإسلامية الكبرى امتداداً للحركة التي قادها الدكتور مصدّق.

ولكن قائد الثورة الإمام الخميني رحمه الله كان واعياً لهذه المحاولات التحريفية لخط الثورة، ورسالتها، فأعلن أن الأمة (إنما ضحّت في هذه الثورة بأفلاذ أكبادها، وأعزائها من اجل الإسلام، وليس من أجل النفط).

وإذا عاد الإسلام إلى حياتنا ومجتمعنا، فإننا نملك كل شيء، بما فيه النفط، والأرض، والسيطرة، وكان الإمام يقول: (إننا دفعنا ثمن هذه الثورة غالياً، فلا نتركها عرضة للأطماع والألعاب السياسية ـ وحفنة من السياسيين المحترفين في اللعبة الدولية).

لقد كان انتصارنا نحن في هذه الثورة قبل كل شيء انتصاراً

في الخط، ولأول مرة في تاريخنا السياسي المعاصر يبرز الخط الإسلامي الأصيل على الساحة السياسية والدولية ازاء الخطين: اليمين واليسار، وما بينهما من خطوط، واتجاهات.

ويبرز الخط الإسلامي باتجاهه الأصيل المستقيم، في وقت استنفد فيه الخط اليميني، والخط اليساري قدرتهما على البقاء، ولم يعد لهما ذلك البريق الخاطف الذي كان يحيطهما من قبل.

وقد عرفت أُمتنا أن هذه الخطوط والأفكار الدخيلة لم تعد تحمل مقومات البقاء، وأثبتت خلال هذه الفترة من الممارسة السياسية فشلها على الساحة السياسية، والاقتصادية والثقافية والاجتماعية في حياتنا. وشاء الله تعالى أن يبرز الخط الإسلامي على الساحة السياسية في وقت هزيمة الخطوط الفكرية والسياسية الأخرى.

الأعماق الحضارية لخط الإمام:

والخط الذي تبنّته الثورة وسارت عليه، تمتد أُصوله وجذوره إلى دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وليس فيه شيء جديد، إلاّ ما يتعلق بظروف التطبيق والعمل. والثورة تتحرك على خطى أولئك

الصديقين الذين حمّلهم الله تعالى حكمته ورسالته، على خطى إبراهيم، ونوح، وموسى، وعيسى ورسول الله عليهم صلوات الله وسلامه، وعلى خطى أهل بيت رسول الله عليهم السلام.

كما تستمد الثورة فاعليتها، وفهمها لأسلوب التحرك، والعمل من حياة هؤلاء القادة عليهم السلام، وتحرّكهم، وعملهم في المجتمع، وعلاقتهم بالله تعالى وبالناس.

وعي المحنة:

ثم تستمد الثورة تصوراتها، وفهمها لخط التحرك السياسي والجهادي، من خبراتها وتجاربها على طريق الإسلام، خلال هذه السنوات المباركة، ولا أقول العجاف، بل سني المحنة.

لقد زوّدتنا هذه السنوات التي عشناها في مواجهة التيارات الكافرة التي دخلت بلادنا وبيوتنا، في مواجهة الغزو السياسي والفكري والعسكري للغرب والشرق، وفي مواجهة عملاء الاستكبار الغربي والشرقي في بلادنا، وفي أتون المحنة، وزحام المشاكل، وفي وسط الابتلاءات السياسية الكبيرة، وفي داخل الزنزانات وتحت التعذيب، وفي دار الهجرة، وفي مواجهة اللعب

السياسية، وفي مواجهة محاولات الاستكبار الغربي والشرقي لإجهاض الثورة أو تطويقها، أو مصادرتها أو تمييعها، أو تحجيمها، أو ترويضها للعبة الدولية. وفي الفرار والاختفاء من عيون الظالمين، وفي المواجهة المسلحة للطغاة والظالمين، وفي التصدي للمنافقين بعد انتصار الثورة، وفي مواجهة لعب المنافقين، وأساليبهم الماكرة، والخبيثة، والوحشية، وأخيراً في مواجهة الحرب التي أثارها النظام العراقي ضد الثورة بإشارة، ودعم، وتبريك من الاستكبار العالمي بكلا جناحيه...

أقول: لقد زوّدتنا هذه السنوات المباركة التي عشناها في وسط حافل بالعمل والجهاد والتضحية... الكثير من الخبرات، والتجارب والتصورات والرؤى السياسية، والجهادية، التي ساهمت في تكوين الخط وبلورته، وإبرازه على شكل خط سياسي وجهادي متكامل.

كما أن هذه الفترة الحافلة بالمحنة والابتلاء، والعمل، والجهاد كان لها التأثير الكبير في تعميق الوعي الثوري الإسلامي، والوعي الحركي، والجهادي في أمتنا، وتعميق إيماننا بالخط، وتفاعلنا معه.

فلولا هذه المحن المتوالية التي تعاقبت على الأمة بعد الثورة، ولولا المواجهات الوحشية للمنافقين، والتصديات الأمريكية الفاشلة للثورة، والمحاولات التجسسية للاستكبار الشرقي، والحصار الاقتصادي والحرب.. لولا هذه المحن والابتلاءات المتوالية، التي تعاقبت على أمتنا بعد الثورة، لم يبلغ الوعي السياسي، والحركي للخط، هذه المرحلة من النضج عند جميع الناس، على اختلاف مستوياتهم.

إن الشيء الذي يألفه الناس تاريخياً في المجتمعات، هو أن الوعي السياسي يتحقق دائماً في طبقة النخبة المثقفة، ولا يتجاوز غالباً هذه الطبقة. وكان الوعي من الخصائص الفكرية لقمّة الهرم الاجتماعي ـ في حالات سلامة الهرم والقِمَّة ـ ويندر أن ينزل الوعي السياسي إلى قاعدة الهرم الاجتماعي، حتى في الحالات الصحية للهرم الاجتماعي. فيندر أن نجد إدراكاً صحيحاً للقضايا الاجتماعية، والسياسية المعقدة، وحسّاً سياسياً مُرهفاً في الأوساط الشعبية في الشارع والسوق والمعمل والحقل.

في وعي النخبة، ووعي الجمهور:

ومن خصائص هذا الوعي السياسي للخط أنّه لم يكن يقتصر على دائرة النخبة المثقّفة فقط كما يحصل عادة في دوائر الوعي السياسي، وإنما نزل هذا الوعي إلى الشارع، وتمكّن من عقلية جميع الأفراد، تماماً كما يتمكن من عقلية أفراد النخبة المثقفة المخلصة، ومنحهم حصانة ومناعة فكرية وسياسية، كما منحهم صلابة وقوة، وهذه الحالة تتفق تاريخياً في المجتمعات الإنسانية ولكنها نادرة الاتفاق.

الغوغائية والوعي:

التصور الغربي للمجتمعات البشرية هو أن حالة الغوغائية هي الحالة الطبيعية المسيطرة على الأوساط الشعبية والجماهير، والعقل الجمعي هو الذي يوجّه التجمعات البشرية، وليس التفكير الموضوعي، والفهم الدقيق والتشخيص الصحيح.

وهذا تصور صحيح للتجمّعات غير الموجهة. فإن هذه التجمّعات تخضع لحكم العقل الجمعي التكتلات، وحالة الغوغائية تكون هي الحالة الغالبة والحاكمة، وليس الأمر كذلك

في التجمّعات الموجّهة.

وقد لاحظنا في تيار الثورة الإسلامية، أن الجمهور استطاع بفضل التوجيه المستمر، أن يتخلص من حالة الغوغائية، ويخضع في تحرّكه السياسي، والجهادي للتشخيص الصحيح والتفكير الموضوعي، ويتناول القضايا السياسية والاجتماعية المعقدة بحسّ سياسي مرهف، وتشخيص دقيق، وتفكير موضوعي.

وقد كانت هذه القفزة الاجتماعية من أهم خصائص الثورة الإسلامية، حيث استطاع جمهور الثورة أن يواكب التحرك السياسي والجهادي للثورة، في دقة ووعي وذكاء منقطع النظير، لم ينغش الجمهور ولم ينخدع، ولم يغلب على رأيه وتفكيره، وإذا صادف في بعض الأحيان أن زلّ الجمهور عن جادة الصواب، والتصور الواعي الصحيح، كان يعود سريعاً، ويصحّح خطأه، ويتلافى الخطأ.

لقد أخطأ الجمهور بالتأكيد، في انتخاب أبو الحسن بني صدر رئيساً أولاً لأول جمهورية إسلامية بتربيته الغربية، ولقد صفق المخططون الأمريكان لهذا الاختيار، وعادت إليهم ثقتهم في

خططهم السياسية ومكرهم. لكن سرعان ما عادت الأمة إلى وعيها وتحركت باتجاه تدارك خطئها الكبير، وتجمعت في الشوارع تنادي بسقوط (الشاه الثاني: بني صدر) وخيّبت ظنون الدوائر السياسية الأمريكية.

الثورة الثالثة:

لقد مرت على هذه الثورة، أيام مباركة، ولا نقول سوداء، لأن الفتنة والمحنة في تاريخ الأمم ـ في رأينا ـ مصدر كل بركة ووعي، وحركة.. مرت على الثورة أيام مباركة لم يبق لخط الإمام من رصيد، غير جماهير صلاة الجمعة، والتظاهرات والمسيرات، وتجمعات دعاء كميل، ومجلس الشورى الإسلامي.

وفيما عدا ذلك، فقد كان بني صدر والحفنة من الرجال الذين جاء بهم، يصولون، ويجولون في رئاسة الجمهورية والإذاعة والتلفزيون والصحافة، والمراكز الحساسة: الثقافية، والإعلامية، والعسكرية، وغير ذلك من المراكز الحساسة في الدولة.

وكان الإمام، على قدرته الفائقة على ضبط النفس في المواقع الحساسة، لا يكتم غضبه وكان يصرخ ويغلي عندما يرى أن هذه

المجموعة تحاول أن تحرف مسيرة الثورة من اتجاهها الإسلامي الأصيل، إلى اتجاه ليبرالي إيراني ديمقراطي، موالٍ للغرب.

فتحركت جماهير صلاة الجمعة، والمسيرات ودعاء كميل، وهم ينادون (لسنا نتركك وحدك يا إمام كما ترك أهل الكوفة الحسين عليه السلام في يوم الطف). واستطاعت هذه الجماهير أن تعيد المياه إلى مجاريها، وتطرد هذه المجموعة من كراسي الحكم إلى حيث كانوا من مقاهي باريس.

لم يكن بني صدر وحفنته يفقدهم الذكاء السياسي ولم تكن هزيمتهم بسبب قلة الذكاء.. ولكن الجمهور كان على مستوى رفيع من الوعي، والفهم السياسي وكان على استعداد كافٍ للحضور المستمر في الساحة السياسية.

الحضور المستمر في الساحة السياسية:

بورك في هذا الجمهور، ووعيه وتضحيته، وصبره في سبيل الله تعالى. لم يفارق الساحة السياسية، ولا لحظة واحدة، ولم يغب عن الساحة في تلك اللحظات الحرجة الحساسة، وظل يتابع الأحداث السياسية وتطوراتها بدقة متناهية، ولحظة بعد لحظة، ويكتشف

بذكاء وسائل المنافقين وأساليبهم، ويبادر إلى فضحها بكل وسيلة ممكنة. ولم يترك هذه الثورة، لتكون لعبة لحفنة من الرجال المحترفين للسياسة واللاعبين السياسيين.

لقد كان وعي الجمهور السياسي لخطّ الإمام، وحضوره المداوم في الساحة السياسية، ومراقبته لحركة الثورة، وتحركها على خط الإمام، وتضحيته في سبيل ذلك كله، من أهم أسباب سلامة وبقاء الثورة.

مكاسب ومتاعب الخط:

لقد كان وجود الخط في صلب الثورة من أسباب قوة الثورة وبقائها وتحشيد الطاقات المؤمنة حولها، وكان من أسباب سلامة الثورة. فلم يستطع المنافقون المتسلّلون إلى الثورة من سرقة الثورة. والخط الإسلامي الصحيح الذي عُرف بخطّ الإمام هو الذي منح الثورة هذه المناعة والحصانة.

كما أن هذا الخط كان سبباً لكل متاعب الثورة ومشاكلها. فلولا أن الثورة تتحرك على هذا الخط لم تكن موضعاً لنقمة الاستكبار الشرقي والغربي وغضبهما.

بعض مفردات خط الإمام:

مفردات هذا الخط كثيرة، ولكل منها شرح وتفصيل لا مجال لذكره هنا، وإنما نشير هنا فقط إلى بعض المفردات من خط الإمام.

وسوف نفردها إن شاء الله بمقال يخصّه.

من مفردات خط الإمام:

الثقة المطلقة بالله سبحانه وتعالى، والاعتماد والثقة بالأمة في مسير الحركة، والتعامل مع الأمة من موضع الثقة الكاملة والصدق، والاستقلال الكامل عن الشرق والغرب، واعتماد سياسة لا شرقية ولا غربية، واعتماد الأصالة الإسلامية في التفكير والخط، وعدم الركون إلى الفكر الغربي والشرقي والاتجاهات الفكرية الدخيلة بينهما، والاكتفاء الذاتي في المجال الاقتصادي، والاعتماد على النفس في الإنتاج، واعتماد التقوى في المسؤولية في المراكز الحساسة في الدولة، كما يعتمد الاختصاص العلمي، وولاية الفقيه، وربط المجتمع بولاية الله تعالى ورسوله وأوليائه عن هذا الطريق، ووصل ما انفصل عن هذه السلسلة الإلهية في حياة الأمة

بهذه الولاية، وإعادة الأعراف والمصطلحات الإسلامية من جديد إلى الحياة، ومكافحة الأعراف والمصطلحات النابعة من الحضارة المادية، وتزكية النفس، ومكافحة الهوى، والاهتمام بحضور الأمة في الساحة السياسية، وإعطاء العبادات الإسلامية مداليلها السياسية، كما في صلاة الجمعة والعيدين والحج.

والتركيز على التجمعات العبادية الإسلامية كاجتماعات دعاء كميل للتوجه إلى الله تعالى، وتوجيه الناس إلى ذكر الله والعلاقة بالله تعالى، والتعامل مع المسلمين في العالم الإسلامي من خلال الأُخوّة الإسلامية، وإلغاء الاعتبارات القومية، والإقليمية، والجغرافية السياسية التي رسمها الاستكبار العالمي لتمزيق شمل المسلمين، وتعميق حالة العداء والنفور والسخط تجاه قوى الاستكبار العالمي، وخاصة أمريكا، وتزكية، وتنمية العواطف والأحاسيس الإسلامية إلى جانب الوعي والتعقل السياسي والفكري، والترغيب في الشهادة، والتذكير بقيمة الشهيد في حياة الأمة، وإعادة فاعلية دور الدم في صنع التاريخ، وتحطيم عروش الطغاة والجبابرة، ومواجهة القضايا السياسية والجهادية بحسم وحزم، دون تردد وضعف، والنفس الطويل في العمل والمقاومة،

وتحويل أنظار الناس واهتماماتهم من القضايا الجزئية الصغيرة الملهية، إلى الاهتمامات العالية الكبيرة،كقضية القدس، والجهاد لتحرير فلسطين، وإسقاط النفوذ الأمريكي والسوفيتي في المنطقة، وتحرير مصادر الثروة الإسلامية من نهب الاستكبار العالمي، والإيمان المطلق بأن العاقبة للمتقين، والصبر والثبات لبلوغ هذه العاقبة، وتحويل اهتمامات الدولة في مجال العمران والخدمات، من الطبقة المترفة إلى الطبقات المحرومة، والمسحوقة، وتثقيف الأمة وتسليحها لحماية الثورة، والاعتماد على دور الأمة في حماية الثورة وأمنها، واللجوء إلى الأمة بعد الله تعالى، عند كل ملمّة ومشكلة، وربط الأمة بتراثها ومواريثها الفكرية والحضارية وجذورها التاريخية، والاهتمام بإقامة الشعائر الإسلامية، والانشداد النفس والعاطفي إلى مناسبات أهل البيتعليهم السلام، مثل: إقامة مجالس عزاء الحسينعليه السلام، وطرح القدوات الصالحة في حياة الناس من الأنبياء والأئمةعليهم السلام، بدل الوجوه الدخيلة الغربية والشرقية التي تطرحها وسائل الإعلام التابعة للأنظمة في العالم الإسلامي، والدعوة إلى نبذ الطائفية السياسية، والتقريب بين المسلمين، وتوحيد الموقف السياسي في العالم الإسلامي.

القفزة النوعية :

إن القفزة النوعية التي حقّقتها الثورة في حياتنا الفكرية عظيمة. فقد نقلتنا الثورة من الإيمان بقدرة القوتين الكبيرتين المطلقة، واستحالة الانفلات من دائرة نفوذ هاتين القوتين بشكل من الأشكال إلى مبدأ لا شرقية ولا غربية، والتمرد على نفوذ الشرق والغرب، ومكافحة نفوذ سلطان الاستكبار الغربي والشرقي في حياتنا، والهوة بينهما هوة سحيقة عميقة.

ونقلتنا الثورة من مبدأ فصل الدين عن السياسة، الذي كان يعتبر المبدأ الرسمي في العالم الإسلامي، والمتبنى من قبل الأنظمة وأجهزة التعليم والتثقيف والإعلام الرسمية، إلى مبدأ ولاية الفقيه، وطرح الفقه الإسلامي في ساحة الحكم والإدارة والاقتصاد، وإعطاء الفقيه الولاية السياسية على الناس. إن الانتقال من مبدأ (الفصل بين الدين والسياسة) إلى مبدأ (ولاية الفقيه)، قفزة هائلة في حساب التطور، والنضج الاجتماعي.

لقد حققت الثورة قفزات نوعية كبيرة باتجاه خط الإسلام الأصيل، والصحيح، خلال هذه الفترة، والنقلة الفكرية والسياسية خلال هذه الفترة القصيرة من عمر الثورة كانت نقلة كبيرة، أكبر من عمر الثورة الزمني بكثير.

مسؤوليتنا تجاه خط الثورة:

إن مسؤوليتنا تجاه خط الثورة بقدر قيمة وأهمية هذا الخط في حياتنا السياسية، وان حياة الخط وبقاءه وسلامته، ومسؤولية المحافظة عليها من التحريف والتمييع، مسؤولية على عهدة كل مسلم يشعر بقيمة هذا الخط وأثره ودوره في حياة المسلمين اليوم.

إن علينا أن نعمق الإيمان بهذا الخط في نفوس الناس ما أمكننا ذلك، ونربط الثورة، والخط، والأمة، والإمام ببعض، ونجعل منها قوة واحدة في مواجهة الاستكبار العالمي بإذن الله تعالى.

رسالة الثورة:

لكي يتحرك الإنسان، ويعمل بطلاقة وحريّة، لابد أن يتخلص من كل قيد، يعرقل ويقيد حركته وعمله، وكل ثقل على ظهره يثقله، ويثقل حركته.

وما دامت هناك قيود على يديه وقدميه، وثقل على ظهره، فلا يستطيع أن يتحرك بطلاقة وحرية.

وهذه السُنّة الإلهية تجري في العمل والتحرك الروحي والاجتماعي والسياسي، كما تجري في الحركات العضلية تماماً.

فلكي يتحرك الإنسان في علاقته بالله، والناس، ويبدع ويتقدم، وتتفجر طاقاته ومواهبه، لابد أن يتحرر من القيود والأثقال.

ولكي يتمكن المستكبرون من إذلال الناس، واستضعافهم لابد أن يقدموا على إفساد الناس، وان يسلبوا الناس قيمهم وقوتهم وعقولهم وإرادتهم ومقاومتهم وشجاعتهم... وهذه هي عملية الاستضعاف التي يذكرها القرآن في مواضع عديدة منه.

ومن الآليات المفضّلة للاستضعاف عند المستكبرين (تقييد) حركة الناس بالقيود الأمنيّة والاقتصادية والثقافية والاجتماعية و(إنهاك) الناس بالأعباء الثقافية والاقتصادية والسياسية الثقيلة المنهكة. ويجري هذا (التقييد) و(الإنهاك) طبقاً لنظام وخطة دقيقة، يستخدمها الطغاة لتعطيل مواهب الناس وحركتهم وسعيهم ومقاومتهم، وعندئذٍ يتحول الناس إلى أمة فاقدة للإرادة والمقاومة بيد الطاغية، يقول تعالى عن فرعون: ﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ**﴾[1]، والفسق هو الفساد.

(١) الزخرف/ ٥٤.

فإذا فسد الإنسان تحوّل من شخصية مبدعة، قوية، مؤثرة، كفوءة، مبادرة، شجاعة، مخططة، حرة، خاضعة لله، متمردة على الهوى والطاغوت... إلى شخصية ضعيفة، تابعة، وإمّعة، ومرتبكة، وقلقة، وخاضعة للهوى والطاغوت، ومقطوعة عن الله تعالى. وهذه هي مظاهر الفساد في شخصية الإنسان. فإذا فسدت شخصية الإنسان يسهل انقياده، ويأمن الطغاة جانبه، ويسهل إخضاعه، وتطويعه، لإرادتهم، وتسييره وتسخيره لمطامع وأهواء الطغاة والجبابرة.

وهذا هو (الاستضعاف) للإنسان، واستدراج الإنسان إلى (الضعف)، وتفريغ الإنسان من القيم الإنسانية والمواهب التي رزقه الله تعالى.

الإصر والأغلال (العوائق):

والأداة التي يستعملها المفسدون في الأرض، لإفساد الإنسان، هي (الإصر والأغلال) حسب تعبير القرآن الكريم. والإصر هو الثقل الذي يثقل حركة الإنسان، والأغلال هي القيود التي تعرقل تحرّك الإنسان.

فهناك نوعان من العوائق، أو هناك نوعان من أدوات الإفساد، يستعملها المفسدون لعرقلة تحرّك الإنسان وإفساده، نوع يثقل حركة الإنسان ويبطئه، وهو (الإصر)، ونوع آخر يقيده عن الحركة، ويعطّل طاقاته وإمكاناته ويقيّده بشكل مطلق، وهو (الأغلال والقيود).

والفرق بينهما أن الأغلال تصد الإنسان عن التحرّك مطلقاً وتشلّ حركته، بينما الإصر يثقله ويبطئ تحرّكه.

فالجهل من (الأغلال) التي تغل الإنسان، وتعصّب عينيه، وتسلب سمعه، وتعطّل فهمه وإحساسه وإدراكه، وإذا تعطل فهم الإنسان وإدراكه لم يتمكن من أي عمل أو حركة إيجابية.

والهوى من (الأغلال) التي تغل الإنسان وتعمي قلبه وبصيرته، وتعطل قلبه وتسلبه البصيرة.

والخوف من (الأغلال) التي تشلّ حركة الإنسان مرة واحدة، وتسلبها كل قدرة على التحرك، والعمل، والمبادرة، والإقدام.

واليأس من (الأغلال) التي تعطل روح الإنسان وتسلبه الأمل، وإذا فقد الإنسان الأمل في الحياة تحوّل إلى ميّت يتحرك بين الأحياء.

واللهو من (الأغلال)، التي تلهي الإنسان عن العمل الجاد، وتصرفه عن الجد.

إلى غير ذلك من الأغلال والقيود التي تعيق تحرك الإنسان في الحياة.

والترف والبذخ في الحياة الدنيا من الإصر، الذي يثقل الإنسان ويبطئ تحركه، وعمله.

وكثرة الجدل والمراء من (الإصر) الذي يثقل الإنسان، أينما وجد المراء والجدل. وإذا كره الله تعالى قوماً ابتلاءهم بالجدل والمراء.

والكسل، وإيثار العافية، والراحة من (الإصر) الذي يثقل حركة الإنسان.

والأعراف والعادات والتقاليد الجاهلية من (الإصر) الذي يثقل تحرك الإنسان، ويبطئ نموه، وتكامله، وسوء الظن في التعامل مع الآخرين من (الإصر) الذي يثقل تحرك الإنسان ونموه، ويعتّم رؤيته تجاه الآخرين، ويعرقل التعاون، والعمل الجمعي في سبيل الله، ويعدّ النفوس للخلافات، والمشاكل، والمتاعب، التي تثقل كاهل العمل، ونمو الإنسان، وتكامله وغير ذلك من الإصر.

وللمفسدين والمستكبرين وسائل، وطرق خبيثة، وماكرة كثيرة لزرع هذه الأغلال والآصار في حياة الناس، ولهم في ذلك تجارب وخبرات، وسنن، يتوارثونها جيلاً عن جيل.

فالتضليل الإعلامي، والتربية السيئة، وإثارة الخلافات، والنعرات، والإرعاب، والإرهاب، وتوسيع وتقوية دوائر الأمن، والمباحث، والتفرقة الإقليمية، والقومية، وإشاعة الفساد واللهو، وإشاعة الألعاب الرياضية وإعطاءها دوراً أساسياً في حياة الشباب، وتحريف الفكر، والثقافة، وتقديم الثقافة المضللة المنحرفة إلى الشباب، ومضايقة الناس في أرزاقهم، وحرمان الناس من العلم والثقافة المفيدة النافعة، وإقحام الأعراف والتقاليد والعادات الدخيلة والغريبة عنّا إلى مجتمعنا... وغير ذلك كثير من الوسائل والأساليب، التي يستعملها المستكبرون في زرع الأغلال، والآصار في حياتنا الاجتماعية، والسياسية، وفي تعطيل الإنسان المسلم، وتجميده وتفريغه من القيم، والاهتمامات الرفيعة، وأخيراً إفساده.

الاستضعاف:

وبذلك يفسد الإنسان، ويفرغ من كل محتواه الإنساني، ويفقد

كل قيم الإنسان، ومواهبه.

يفقد الشجاعة والمبادرة.

ويفقد القدرة على الإبداع، والتخطيط.

ويفقد الصبر، والثبات والصمود.

ويفقد الحياء، والعفة.

ويفقد القدرة على التمرد على الطاغية، والتحرك والثورة والجهاد.

ويفقد الأصالة، والاستقلالية.

ويفقد الثقة بالله، والاتكال على الله، والاعتماد عليه.

ويفقد الاعتماد على النفس.

ويفقد قابلية النمو، والنضج والتكامل.

ويفقد الفهم، والإدراك، والوعي.

ويفقد الصلة بالله، والإخلاص لله، والحب لله، والبغض في الله.

ويفقد القدرة على مكافحة الهوى.

ويصيبه الضعف، والخور، والجبن، وبلادة التفكير والإحساس، والجهل، والاتكالية، والهزيمة النفسية، والصلافة، والاستهتار، والركون للظالم، والانقياد له، والانقطاع عن الله، والعمى، والصمم

في القلب، وحب الدنيا، وطول الأمل، والاستسلام للهوى والطاغوت.

فيتحول من إنسان مبدع قائد، إمام، إلى سلعة رخيصة، واقعة بيد الطغاة والظالمين، وذلك سقوط الإنسان، وفساده.

وهذا هو معنى الفساد.

فإن إفراغ الإنسان من قيمه، واهتماماته، وتعطيل طاقاته، ومواهبه، وإعدام كفاءاته، وقدراته التي رزقه الله تعالى إفساد له.

يقول تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ**﴾[1].

فالإفساد سعي في الأرض لإهلاك الحرث والنسل، ويقول تعالى: ﴿**وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[2].

---

(١) البقرة: ٢٠٥.

(٢) البقرة: ٦٠.

فالفساد أن يعثو الإنسان في الأرض، ويبيد ويقطع ما أوصله الله، ويفسد ما رزق الله الإنسان.

وإذا أفسد الإنسان، ضعف، وإذا ضعف، سهل الاستيلاء عليه، والاستكبار عليه. والقرآن الكريم يعبر عن إفساد الإنسان بـ (الاستضعاف) اقرأوا الآية الرابعة من سورة القصص ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[1].

إن فرعون لكي يعلو في الأرض ويستكبر، لابد أن يفرق الناس، ويجعلهم شيعاً، ويستضعف منهم طائفة، ويذبح طائفة أخرى وهذا هو عمل المفسدين ﴿**إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾، ولذلك قلنا أن الإنسان إذا فسد ضعف، وإذا ضعف سهل الاستعلاء، والاستكبار عليه.

والمفسدون هم الذين يعملون لاستدراج الناس إلى الفساد، والضعف واستضعاف الناس لاستعبادهم، والتحكم عليهم، وسلب إرادتهم، وحريتهم، وكرامتهم.

(١) القصص: ٤.

رسالة رسول الله ﷺ في حياة الناس:

والرسالة التي بعث الله بها النبي ﷺ، هي لإزالة هذه الأغلال عن أيدي الناس وأرجلهم، ورفع الأثقال والآصار عن أكتافهم، وظهورهم.

﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾[1].

وهذا الدور هو الدور الأساسي لرسول الله ﷺ ولكل الأنبياء والمرسلين.

وهذه المهمة هي واحدة من ثلاث مهمات ـ تعددها الآية الكريمة ـ في رسالة رسول الله ﷺ:

(١) الولاية والحكم والسيادة: ﴿**يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾. فإن الأمر والنهي في حياة الناس لا يتم من دون

(١) الأعراف: ١٥٧.

السيادة والحاكمية والولاية... ولا يتم توجيه الناس بالتثقيف والإرشاد فقط. والحكم والولاية شرط ضروري لتوجيه الناس وإنقاذهم من شرك الهوى والطاغوت.

(٢) التشريع: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ**﴾.

(٣) التحرير: ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾.

فتحرير الإنسان من الأغلال، والآصار من أهم أعمال الأنبياء عليهم السلام. ومن أهم محاور رسالتهم، ومسؤولياتهم الإلهية.

وإذا تحرر الإنسان من الأغلال، والآصار لم يستطع طاغية، ولا جبار أن يستعلي أو يستكبر عليه، ولا سبيل إلى إذلاله وتطويعه، وانقياده.

وعندما تزول هذه العوائق (الأغلال والآصار) عن حياة الإنسان، ينمو الإنسان نمواً سوياً، ويأخذ حظه من النضج، والكمال بصورة طبيعية، وتتفتح مواهبه، وكفاءاته، وقدراته، بصورة طبيعية، وبيسر، وينزع إلى الله تعالى نزوعاً فطرياً، ويتجه إلى الله تعالى في حركة تكاملية.

مبدأ الجهاد:

ومن هنا ينبثق (الجهاد) في الإسلام، فإن هؤلاء المفسدين المستكبرين في النتيجة هم الذين يصدّون الناس عن التحرك، والتكامل والنمو، ويعيقون حركة الإنسان إلى الكمال عن طريق الإفساد، ووضع الأغلال والآصار.

والقضاء على هؤلاء المفسدين هو السبيل لإنقاذ الإنسان، وتحريره، وذلك هو المدخل لمعرفة الجهاد في التشريع الإسلامي.

رسالة الثورة الإسلامية:

ونعود ـ بعد هذه الجولة من مفاهيم وأفكار الثورة ـ إلى رسالة الثورة الإسلامية.

واجهت الثورة أمامها ركاماً هائلاً من الأغلال والآصار في الفكر، والثقافة والتربية والأخلاق والأعراف، والتقاليد والمصطلحات، والحضارة، ودوائر الدولة، والمدارس والمعاهد، والصحافة، والإعلام... وفي كل مجالات الحياة.

وقد تكوّن هذا الركام من العوائق خلال خمسين سنة من حكم أسرة (بهلوي) في إيران، كما تراكم في سائر أقطار العالم

الإسلامي خلال فترة الركود، والسبات الطويلة في العالم الإسلامي.

وكان لابد للثورة أن تؤدي رسالتها دوراً في إزالة هذه الآصار والأغلال، عن الإنسان المسلم في إيران، وفي كل العالم الإسلامي.

ولم يكن دور الإنسان المسلم خارج إيران دوراً ثانوياً للثورة، بالنسبة للإنسان المسلم في إيران، فليس للثورة حدود قومية أو إقليمية، أو سياسية، وكان لابد للثورة أن تمارس رسالتها في تحرير الإنسان المسلم في كل بقاع العالم الإسلامي.

تصدير الثورة:

وكان لابد للثورة أن تجتاز الحدود الدولية المألوفة، وتتخطى العقبات والحواجز، وميادين الألغام، لتفتح طريقها إلى الأقاليم المتعطشة إلى الثورة من العالم الإسلامي، ولتمارس رسالتها في تحرير الإنسان المسلم وتخليصه.

ولذلك فقد كان تصدير الثورة من أولى اهتمامات وشعارات الثورة، وقد حمله الإمام نفسه، ونادى به، منذ الأيام الأولى للثورة.

إن رسالة هذه الثورة رسالة إسلامية وإنسانية عامة، لا تحددها منطقة ولا إقليم، ولا لغة، ولا عرق، ولا طائفة، ولا مذهب.

وما دام في المنطقة الإسلامية إنسان مسلم يرزح تحت الأغلال، والقيود فإن الثورة مدينة إليه، ومسؤولة تجاهه، في أقصى الشرق كان هذا الإنسان، أم في أقصى الغرب، ولا تُبرأ ذمة الثورة إلا عندما تكسر كل القيود، والأغلال عن أيدي كل المسلمين.

إن التصدير للثورة كالهواء للإنسان، يموت إذا انقطع عنه. فإن من سنن الله تعالى في الثورات والحركات: أن الثورة لا يمكن أن تقف في مكانها، وعند حد معين، فإما أن تتقدم، وتنمو، أو تتراجع وتذبل، ولذلك فإن الثورة الإسلامية إذا لم تتقدم وتكتسح من أمامها الحواجز، والسدود فإنها تذبل وتتأخر.

فليست مسألة التصدير، والتوسع للثورة مسألة ترفيّة من مسائل الثورة، وإنما هي من الصميم من حاجات الثورة وضروراتها، وبدونها لم تحقق الثورة أهدافها.

الطبيعة الاقتحامية للثورة

إننا نعلم جيداً، أن القوى الاستكبارية لم تترك الثورة تتقدم، وتتوسع على حساب مصالحها، من دون مشاكل ومتاعب. وإنها تستعمل كل الوسائل الممكنة، للحيلولة دون تقدم الثورة، وتوسّعها.

فلابد أن تمتلك الثورة الشجاعة الكافية لاقتحام الحواجز، واكتساح العوائق السياسية.

إن الثورة تصطدم ـ بالتأكيد ـ بكثير من الأعراف السياسية، والدولية.

وأعداء الإسلام سوف يرصدون لمواجهة الزحف الإسلامي كل إمكاناتهم، ويتناسون كل مشاكلهم وخلافاتهم، وسوف تواجه الثورة جبالاً من المشاكل أمامها، ولكن شيئاً من ذلك لا يجوز أن يعيقها، وأن الثورة لابد أن تمتد وتتجاوز المشاكل، ولا يجوز أن تتردد لحظة واحدة في أداء رسالتها العالمية.

(وطبعاً نقصد بذلك، التوسع، والامتداد الفكري، لا العسكري، وسوف نوضح هذه الحقيقة فيما بعد، وإنما استعجلنا هنا في هذا

الإيضاح، لئلاً يؤدي إلى الالتباس) وأن مما لا يجوز في ثورة إسلامية ذات أهداف عالمية واسعة، أن تقف خلف الحدود المقفلة خجلى، مترددة، كما لو أن هيئة دبلوماسية تريد أن تدخل بلداً أجنبياً لغرض المفاوضات السياسية.

إن الثورة لا تحتاج إلى إجازة مرور واجتياز، وليس في الأرض بلد غريب عليها، ولا ناس غرباء عنها. وبهذه الروحية الحركية الثورية، يجب أن تعمل الثورة وتكتسح من أمامها الحواجز، والعوائق، وتذلل العقبات لتصل إلى كل الطبقات المستضعفة، والمحرومة من العالم الإسلامي، كما يصل الماء إلى أراضي صالحة غنية وعطشى.

هذه الحالة الاقتحامية هي جزء لا يتجزأ من الثورة، ومن دونها لا تستطيع الثورة أن تحقق غرضاً، أو تؤدي دوراً ثورياً إسلامياً في الأرض.

الجمهورية الإسلامية دولة وثورة:

إن الجمهورية الإسلامية دولة، وثورة، ولكل منهما أعرافه، وحدوده، وقانونه، وأصوله. والثورة هي الأساس، والدولة هي

الفرع، وللدولة حدودها، ودبلوماسيتها، وسياستها وأصدقاؤها، وأعداؤها، وللثورة متطلباتها، ودورها، ورسالتها الإسلامية العالمية.

وليس بالضرورة أن تتطابق دائماً دبلوماسية الدولة، والثورة، وأحكامهما، وحدودهما. وليس من الضروري دائماً أن يتوافق حق الثورة وحق الدولة والنظام.

إن من حق الثورة أن تتحرك في صفوف الحجاج في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، و تصرخ بهم، وتهتف، وتفجّر سخط وغضب الأمة ضد أعداء المسلمين، وضد القوى الاستكبارية وعملائها، وضد الصهيونية، والصليبية، وان تهتف بموت أمريكا، وإسرائيل وروسيا، وأذرعها في المنطقة. وان تنطلق في صفوف الحجاج من كل العالم الإسلامي لتنشر الوعي والحركة، وتفجّر الطاقات الكامنة في العالم الإسلامي، وتفضح القوى الاستكبارية وامتداداتها وعملاءها في المنطقة الإسلامية، ولتبعث المسلمين من جديد، ولتفجّر الأرض براكين وحمماً تحت عروش وكراسي الطغاة والظالمين... والسعودية تريد حجاً وديعاً، هادئاً، من دون مشاكل ولا مزعجات، وتعتقد أن الحج عبادة وليس بسياسة، ولا

شيء من العبادة بسياسة، كما يقول البعض.

إن الحج التربة الصالحة الخصبة لنشر الوعي السياسي والإسلامي بين المسلمين، ولا نعرف فرصة أفضل من الحج لمناداة المسلمين وخطابهم وتحذيرهم من الاستكبار وأجهزته وعملائه... تجتمع في الموسم النخبة الواعية (عادة) من كل مسلمي العالم للتعارف والتفاهم والتوافق والتعاون والتعامل السياسي المشترك ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**﴾، فهل يملك المسلمون موقفاً أفضل من هذا الموقف في نشر الوعي السياسي في أوساطهم؟ وللتوافق والتفاهم في تحديد وصناعة الموقف السياسي الواحد؟

وهل هناك تفريط أعظم بمصالح المسلمين من التفريط بهذا الموسم العظيم، وإفراغه من كل محتواه السياسي والحركي والثوري بحجة المحافظة على أمن الحج وهدوئه، والمحافظة على أجواء الحج العبادية.

إن النظم والأمن حق لا شك فيه، ولكن ليس معنى المحافظة على النظم والأمن التفريط في المضمون السياسي والحركي للحج.

وليس معنى ذلك أن الثورة تريد الإخلال بأمن الحج، والإخلال بالظروف العبادية للحج، ومضايقة الناس في أداء مناسكهم، وممارسة أعمالهم العبادية، أو إيجاد متاعب للنظام السعودي في إدارة الموسم.

فهذا شيء لا يسمح به احد، ولا تسمح به الثورة نفسها، وإنما معنى ذلك السماح للثورة بأن تصرخ وتهتف فقط في الموسم، وفي الحرمين الشريفين، لإيقاظ النائمين من المسلمين، وفضح الاستكبار العالمي... وهذا حق طبيعي للثورة، وفي صلب رسالة الحج، والثورة لا تريد أكثر من ذلك.

اجل، إن رسالة الثورة تتطلب المبادرات السياسية، واقتحام الحدود، والأعراف، والحواجز، والعوائق، وان تغتنم أية فرصة لتؤدي رسالتها إلى المسلمين جميعاً.

ولابد أن تصطدم خلال هذه المسيرة الشاقة بالعقبات، والمتاعب، ولا يمكن أن يخلو طريق الثورة من هذه العقبات والعوائق.

ولابد أن تكون الثورة شجاعة وجريئة في اجتياز هذه العقبات، ولا تسمح لنفسها بالتردد والتوقف.

دور المبادرة:

لابد أن تأخذ الثورة دور المبادرة في مواجهة أعدائها، ولا تقتصر على الأدوار الدفاعية فقط، فان الأدوار الدفاعية ضعيفة عادة، ويقتصر مفعولها على صدّ الهجوم، ولا يحقق تقدماً وتوسعاً.

إن الثورة الإسلامية لكي تحقق أهدافها، لابد أن تتسلم دور المبادرة في التصدي لأعداء الثورة، واقتحام مراكزهم ومعاقلهم.

الاستقرار السياسي:

إن من واجبات الثورة الإسلامية في هذه الفترة، الإخلال فيما تسمّيه قوى الاستكبار العالمي بـ (الاستقرار السياسي في المنطقة) وتشويش الأجواء السياسية على الاستكبار العالمي، وامتداداته في المنطقة الإسلامية.

إن الاستكبار العالمي يصطلح على استقرار مصالحه السياسية والاقتصادية في المنطقة بـ (الاستقرار السياسي)، وهذا (الاستقرار) في الحقيقة، استقرار لمصالح الاستكبار العالمي، واستقرار لامتداداته وعملائه، واستقرار لعمليات الاستمرار في نهب خيرات المنطقة بأمان وسلام، وليس (استقراراً) للناس في المنطقة،

واستقراراً للحالة الاقتصادية، والسياسية في المنطقة الإسلامية، إنّ الذي يهم هؤلاء من (الاستقرار السياسي) استقرارهم، هم، لا استقرارنا نحن، واستقرار مصالحهم لا استقرار مصالحنا.

إن الاستقرار السياسي الذي تدافع عنه أمريكا شيء من هذا القبيل. إنّ أمريكا إذ تهتم باستقرار منطقة الخليج، فإنها تهتم باستقرار مصالحها السياسية والنفطية في هذه المنطقة، وباستمرار النهب، واستنزاف الثروة البترولية في هذه المنطقة الحساسة، بصورة مريحة، وبدون مشاكل، ومزعجات ومتاعب للإدارة الأمريكية.

فإذا انفلتت المنطقة من القبضة الأمريكية، فلا تبقى حرمة للاستقرار السياسي لدى أمريكا في تلك المنطقة فقط، وإنما تعمل أمريكا المستحيل لاختلاق المشاكل والمتاعب، والإخلال بالأمن والاستقرار، كما حدث ذلك للجمهورية الإسلامية.

إن هذا (الاستقرار السياسي) في المنطقة، والذي يحمي مصالح الاستكبار العالمي، والذي يعيش الاستكبار العالمي في ظلاله في ستر وأمان.. هو مما يجب على الثورة الإسلامية أن تقتحمه، وتشوّشه... وهذا هو موقع المبادرة اليوم في عملنا السياسي والحركي.

الصفة الايجابية لتصدير الثورة:

و(الاقتحام) و(التشويش) و(الإخلال)، بالاستقرار السياسي في المنطقة... كل ذلك يأتي بمفهومه الإسلامي الايجابي البنّاء، وليس بالمفهوم السلبي التخريبي.

فلسنا نقصد بذلك، القيام بأعمال تخريبية، وإنما نقصد بذلك أن ننشر في المنطقة الإسلامية الوعي الثوري والحركي، ونعمل لإيقاظ هذه الأمة الراقدة، من سباتها الطويل، وننشر الفضائح السياسية للاستكبار العالمي، ونبعث الحياة والحركة في الأمة، ونقطع أيدي سماسرة الاستكبار العالمي وعملائه وشركائه عن منابع الثروة الطبيعية في بلادنا.

وهذا هو أفضل وجوه تصدير الثورة وأسلمها. إن الوعي هو الجسر الذي تتحرك عليه الثورة الإسلامية إلى العالم الإسلامي. ونحن واثقون من سلامة هذا الجسر، وقدرته على نقل وتصدير كل أوضاع الثورة، وظروفها وشروطها ومكاسبها، بصورة ايجابية بالكامل.

إن تصدير الثورة يتلخص في كلمة واحدة هي ـ أن نقول لكل

الطبقات المحرومة والمستضعفة من العالم الإسلامي ـ: إن الذي جرى في إيران، يمكن أن يجري في أي منطقة أخرى من المناطق المحرومة والمضطهدة من العالم الإسلامي.

وان الذي جرى في إيران، لم يتطلب من الأمة غير عزيمة، وإرادة لا تلين، ووعي وفهم وتضحية وحركة وإيمان وثقة بالله تعالى وصدق وعده في نصرة المؤمنين، وقد أودع الله تعالى هذه الكنوز في كل الأمم والشعوب على نحو سواء.

وان الأمة المسلمة في إيران، عندما أسقطت اكبر معاقل أمريكا في المنطقة، لم تكن تملك غير صدر عامر بالإيمان، وقبضات ترتفع في وجوه الظالمين، وصرخات تهتف بسقوط الظالمين، وحفنة من الأحجار على أرصفة الشوارع ترمي بها الدبابات، والمجنزرات، وتواجه بها دوي المدافع في الشوارع.

إن رسالة الثورة في العالم الإسلامي هي كسر حاجز الخوف. فليست الأسلحة الفتاكة التي يملكها المستكبرون والطغاة هي التي تكبل الناس عن الحركة، والتمرد، والثورة، وإنما (الخوف) و(الجبن) و(إيثار العافية والراحة) و(حب الدنيا)، والفرار من

الموت (الكريم) الشجاع والركون إلى الموت المذلّ.

ورسالة الثورة التي تصدرها للعالم الإسلامي هي كسر حاجز الخوف، وانتزاع حب الدنيا من النفوس الضعيفة، وفك الأغلال عن الأيدي، وزرع الشجاعة والإقدام في النفوس، وتفجير الطاقات الكامنة في الأمة.

تفجير الطاقات:

وان الله تعالى قد أودع في الإنسان كنوزاً من الطاقات، والقدرات، والكفاءات، والشجاعة، والإقدام، والصلابة، والثبات، والصبر، والوعي، والإدراك، والعاطفة، والعقل... كما أودع في الطبيعة كنوزاً من الثروة الطبيعية، وإن ذخائر المواهب الإلهية في الإنسان أعظم بكثير من ذخائر الثروات الإلهية في الأرض.

وجريمة الاستكبار العالمي ليست فقط في نهب ثرواتنا الطبيعية، واستنزافها وإنما فيما هو أهم، من نهب الثروات الطبيعية واستنزافها. إن الاستكبار العالمي تمكّن خلال هذه الفترة من السيطرة والنفوذ على العالم الإسلامي أن يدفن هذه المواهب الإلهية التي أودعها الله تعالى في الإنسان المسلم، ويقضي عليها،

وينتزعها منه، ويحول دون ظهورها وبروزها، وهذه السرقة اكبر من سرقة آبار النفط ومعادن الحديد والنحاس. إنها سرقة الإنسان، وجريمة سرقة الإنسان أعظم من جريمة سرقة الحديد والنفط والنحاس.

إن الاستكبار العالمي استطاع أن يدفن هذه المواهب في الإنسان المسلم، ويسلب اعتماده على الله، وعلى نفسه، ويحوّله إلى كائن يتّكل على الغرب في كل شيء، حتى في لغته، وتقاليده، وأعرافه، ونظم بيته، وخياطة ملابسه.

ورسالة الثورة إعادة الثقة ـ إلى الإنسان المسلم ـ بالله تعالى وبنفسه، وإعادة الحيوية إليه، وتفجير الطاقات الكامنة في عقله وقلبه، وبعث الإنسان المسلم من جديد إلى صلب الحياة، ليمارس دوره خليفةً لله تعالى، وإماماً، وقائداً على وجه الأرض، وليس في هذه الرسالة نقطة سلبية أو تخريب أو إخلال بالمعنى، الذي يشيعه الإعلام المشبوه في بلادنا... وإنما هو حق المسلمين في بلادهم عندما يتعرضون لعدوان سافر واسع مثل هذا العدوان، بل هو حق كل المحرومين والمستضعفين في الأرض... وهذه هي رسالة

الثورة إلى كل المستضعفين والمعذبين والمحرومين من شعوب الأرض للوقوف في وجه الظالمين.

أينما كان الظالم وأينما كان المظلوم، ومهما كان الظالم، ومهما كان المظلوم.

علاقة الثورة الإسلامية المعاصرة بالأمة

بعد دراسة واعية للثورة المعاصرة في إيران يتضح لنا أن علاقة الثورة بالأمة ـ بعد الصلة بالله تعالى ـ هي من أهم مصادر القوة للثورة الإسلامية، فان جماهير الأمة هي القاعدة الصلبة التي تنطلق منها الثورة، والقلعة الحصينة التي تلجأ إليها، والرصيد الذي تنهض به، والوقود والمحرك الذي تتحرك به.

وإذا أمّنت الثورة وجود الأمة إلى جانبها، فلا يضرها شيء من مخططات ومؤامرات الاستكبار العالمي، فإن الأمة تؤمّن للثورة القوّة، والحركية، والمقاومة والاستمرارية، والوقاية، والقدرة على تجاوز العقبات، والصلابة، والثبات، والصبر اللازم لها.

ولقد استطاعت الثورة أن تحمي نفسها بجماهيرها المؤمنة في أحلك الظروف السياسية وأصعبها وأشقها، ولم تتمكن أجهزة الرصد والاستخبارات، والقوة العسكرية الضارية التابعة للاستكبار العالمي أن تنال من الثورة شيئاً خلال هذه الفترة الصعبة من عمرها، رغم أن الاستكبار العالمي لم يدخر جهداً أو مكراً لضربها خلال هذه الفترة، واستعمل كل الوسائل الممكنة للقضاء عليها.

وبعد تأييد الله تعالى ودعمه لهذه الثورة... لا شك أن وقوف الأمة إلى جانبها، كان من أهم أسباب قدرتها على تجاوز العقبات الداخلية والخارجية.

وكان من خصائص قيادة الإمام الخميني رحمه الله، ثقته الكبيرة بالأمة. لقد كان الإمام يضع في الأمة ثقة مطلقة، لا يساوره شك في كفاءتها ودعمها وتضحيتها، كما كانت الأمة تضع في القائد ثقة مطلقة، واستعداداً للطاعة والتضحية لا حدّ لها.

وهذا التبادل في الثقة بين القاعدة والقيادة من أروع نماذج تبادل الثقة والحب بين القاعدة والقيادة في تاريخ الإسلام.

ولقد ثبتت الأمة على وفائها والتزامها للثورة، رغم العقبات الصعبة التي واجهتها، ورغم التضحيات الكبيرة التي قدمتها الأمة لها، ورغم المضايقات المادية والاقتصادية التي واجهتها قبل الحرب وفي سني الحرب... رغم ذلك كله لم تفتر ثقة الأمة بالثورة وقائدها، واستعدادها للتضحية، ولا تزال الصرخات المدوية التي كانت تعصف بوجه الاستكبار الأمريكي في الأيام الأولى لها، تتردد في فضاء الثورة بنفس القدرة، رغم عشرات الآلاف من الشهداء والمجروحين والأسرى.

إن هذه الثورة كشفت عن مصدر كبير من مصادر القوة في الحياة السياسية والاجتماعية، لم يكن يعرفها الغرب، ونستطيع أن نقول: إن اكتشاف القدرة الحركية والثورية للأمّة من أهم مكاسب هذه الثورة.

اللعبة الدولية على الساحة الإسلامية:

وإنما نقول أن هذه القوة، الواعية والحركة الموجهة، والبنّاءة لم تكن قوة معروفة على الساحة الإسلامية من قبل الثورة، لأن الاتجاه العام كان يفهم أنّ القوة المؤثرة على الساحة السياسية هي قوة الاستكبار العالمي، شرقيه أو غربيه، أو مرتبطة بإحداهما، وليس في مقدور أية قوة اجتماعية أن تحدث تغييراً في موازين السياسة في المنطقة الإسلامية.

إنّ المنافسين الكبيرين على الساحة السياسية هما اللذان يتداولان الأدوار السياسية في المنطقة، وأما المجتمع الإسلامي فلا يعدو أن يكون ساحة للعبة الدولية، وليس للمجتمع الإسلامي أي دور ايجابي يذكر أو أية مبادرة سياسية في هذا المجال... هكذا كان يفهم بعض المحللين السياسيين الحالة السياسية في العالم

الإسلامي.

فها هي الثورات والمؤامرات العسكرية في آسيا وإفريقيا تجري في ساحتنا الإسلامية دون علم أو وعي منا، وبتخطيط وتوجيه من قبل الاستكبار الشرقي والغربي، ومن وراء الأبواب المقفلة، ولا ننتبه نحن إلا على المارشات العسكرية التي تذاع من المذياع صبيحة يوم المؤامرة، تتبعها بيانات عسكرية متعاقبة وبالنبرة العسكرية المعهودة في بلادنا، وتقترن بالأحكام العرفية، وبإغلاق المطارات، ويظهر على الساحة وجه جديد ووزارات جديدة، وإدارة جديدة، ومن وراء كل ذلك عمالة جديدة وارتباط جديد.

وقد تعوّدت أمتنا أن تنظر إلى الساحة السياسية في بلادنا مسرحاً للعبة الدولية التي تتناوب عليها القوتان الكبريان في الأرض، وليس لها إلا دور المتفرج على هذه الساحة.

هذه هي خلاصة الرؤية البائسة والقاتمة التي كان يحملها أحياناً رجال الفكر والسياسة لدينا عن قيمة المجتمع والإنسان المسلم المعاصر، ودوره في الساحة السياسية.

لا شك أن الثورة الإسلامية غيّرت النظرة تجاه قيمة المجتمع والإنسان المسلم ودوره في الحياة السياسية، وأبرزت الدور الفاعل والمؤثر لهذا الإنسان وللمجتمع الإسلامي في الساحة، بعد غياب طويل، وركود، وسبات عما يجري حوله من أحداث.

لقد عاد الإنسان المسلم، وعادت الأمة إلى الساحة من جديد، بفاعلية وحركية متفوقة، ومنقطعة النظير.

ولابد أن نقف هنا وقفة تقييمية قصيرة عند هذه القوة الكبيرة التي برزت على الساحة السياسية منذ الثورة الإسلامية، لندرس أهميتها وعمقها وقيمتها في حياتنا السياسية والثقافية..

الأعماق الحضارية للمجتمع:

للمجتمع ظاهر وباطن، وسطح وعمق، والذي يراه الناس ويلمسونه من المجتمع في الغالب هو السطح الظاهر منه، كما أن الدراسات الغربية والشرقية للمجتمع في الغالب لا تزيد على تناول التفاعلات التي تحدث في السطح الظاهر منه، والدراسات السياسية لا تزيد غالباً على تناول التيارات السياسية التي تجري على سطح المجتمع.

إلا أن التفاعلات والتيارات التي تحدث وتجري على السطح لا تعتبر كل أبعاد المجتمع، وتبقى له أبعاد عميقة، خافية عن عيون الناس.

إن المجتمع يشبه البحر يكسوه الزبد الذي لا بقاء له، وإذا ألقى الإنسان إليه النظر من بعيد لا يرى إلا هذا الزبد الذي يكسو البحر، والذي ليس فيه نفع ولا خير، إلا أن هذا الزبد لا يشكّل إلا السطح الظاهر من البحر، أمّا عمق البحر فهو شيء آخر يختلف عن هذا الزبد، وفي عمق البحر يجد الإنسان كل الخيرات والبركات التي أودعها الله تعالى في البحار من الأسماك والأصداف والمرجان...

وكذلك المجتمع له ظاهر وباطن وسطح وعمق، أما السطح الظاهر من المجتمع فيشكل الزبد الطافح الزائل، وأمّا عمق المجتمع، ففيه كلما أودع الله من خير وبركة.

والذين ينظرون إلى الحياة الاجتماعية بنظرة قاتمة وبائسة لا يرون إلا هذا القشر الظاهر من المجتمع، والذين رزقهم الله تعالى بصيرة نافذة، تنفذ إلى عمق المجتمع، وتخترق السطح الفوقي منه إلى الكنوز الفطرية التي أودعها الله تعالى فيه... أولئك ينظرون إلى

المجتمع بثقة واطمئنان ويقيّمون دوره ودور الإنسان المسلم في التاريخ والحياة بشكل آخر ملؤه الأمل والثقة.

إنّ الدراسات الحضارية والاجتماعية (علم الحضارة، وعلم الاجتماع) لا يتناول عادة غير التفاعلات التي تجري على السطح الفوقي من حياة المجتمع. أمّا ما يجري في عمق المجتمع من التفاعلات والسنن الإلهية فلا تدركها ولا تشعر بها هذه الدراسات، ولا تملك الآليات العملية التي تكشف لها هذه الأعماق من حضارة الإنسان وحياته الاجتماعية.

علم طبقات المجتمع (جيولوجيا المجتمع):

إن الذين ينظرون إلى السطح الظاهر في الحياة الاجتماعية، قد لا يرون في العواصم والحواضر الإسلامية في العالم الإسلامي إلا مظاهر الفساد والخلاعة، وعلب الليل، وصالات الرقص، والصحافة المبتذلة، والأفلام الجنسية الصارخة، والتجارة بالأعراض والضمائر، واللعب السياسية المفضوحة، والربا، والغش، والكذب...

ولكن هل هذا هو كل ما في أمتنا؟ كلاّ، إن نظرة ثاقبة

للمجتمع ودراسة للطبقات غير الظاهرة من المجتمع تكشف لنا عن أعماق مخبوءة، وكنوز، وثروات، وخيرات، وأصالات، وقيم، وقدرات، وكفاءات، وتضحية، وعطاء، وإيثار، وفضائل إنسانية لم تكن ظاهرة للعين في الوهلة الأولى... وعندما تنكشف للعاملين في سبيل الله هذه الأعماق غير المرئية من (الأمة)، وما أودع الله فيها من بركات تمتلأ نفوسهم ثقة ورجاء وأملاً في المجتمع وقدراته وكفاءاته، تماماً كما لو ألقى أحدنا النظر إلى صحراء قاحلة غير ذي زرع فيصيبه اليأس ويلقى آخر ممن رزقه الله نظرة اختصاص وفهم وقدرة على اكتشاف نفس النظرة على تلك الصحراء فيكتشف في نفس الأرض القاحلة كنوزاً من الحديد والنحاس والذهب والنفط فيمتلئ أملاً وثقة.

إنّ اختلاف التصورات عن المجتمع الإسلامي بين طرفي اليأس والأمل ينبثق من اختلاف الرؤية.

إنّ عشرات الألوف الذين ضحّوا بأنفسهم في خضمّ هذه الثورة من الأشبال، والشباب، والكهول، والشيوخ، هم من هذا المجتمع بالذات.

هذا الصبي الذي دخل تاريخ الجهاد والتضحية من أوسع الأبواب (حسين فهميده)، وقال عنه الإمام رحمه الله: (قائدنا ذلك الصبي الذي ألقى بنفسه تحت عجلات دبابة العدو)... من هذه الأمة.

وان هذه الجماهير المليونية الغاضبة على أمريكا وروسيا من هذه الأمة.

وان الأمهات والزوجات اللاتي يتحملن الثكل والترمّل بكلّ شجاعة، ويزغردن على جنائز أبنائهن وأزواجهن من هذه الأمة.

وان كل هذا الوفاء، والتضحية، والصدق، والإخلاص، والإيمان، والشجاعة، والاحترام، والقدرة على تحدي الاستكبار العالمي ومضايقاته التي عرفناها خلال هذه الفترة القصيرة من هذه الأمة.

وان كل هذا الصبر والثبات والاستقامة من هذه الأمة.

وان كل هذه الكفاءة العلمية في الاعتماد على الذات في صناعة الآليات العسكرية وصيانتها من جانب أصحاب الاختصاص... من هذه الأمة، رغم كلّ الحظر الأمريكي والأوروبي الواسع لبيع الأسلحة أو قطع الغيار لإيران.

وان القدرة على تجاوز كل هذه السلبيات والفساد الإداري والأخلاقي والسياسي الذي تراكم خلال خمسين سنة من حكم بهلوي خلال فترة قصيرة من هذه الأمة.

إنّ امة تمتلك كل هذه القابليات وتختزن في أعماقها كل هذه الكفاءات والقدرات لهي أمة غنية معطاءة ومباركة، وليست بالأُمة العقيمة والفقيرة.

إنّ النظرة القاتمة التي يحملها بعض الناس عن المجتمع الإسلامي نظرة ضحلة وسطحية بالتأكيد، لم تتجاوز السطح الظاهر من المجتمع، ولم تتمكن من أن تنفذ إلى الأعماق الغنية والمباركة من المجتمع. إن هذه النظرة السطحية لم تلامس إلا السطح القاحل الجدب، ولم تنفذ إلى الكنوز والثروات الجوفيّة في داخل المجتمع.

ولذلك تتسم هذه النظرة باليأس، وتفقد الأمل الباعث على التحرك، وتتجه بصاحبها إلى الانزواء والعزلة عن ساحات العمل، وعن الدعوة إلى الله، وجهاد الكافرين، وخوض الصراع مع الاستكبار العالمي وامتداداته في المنطقة الإسلامية.

قد يكون مبدأ النظرة السلبية الموجودة عند بعض العناصر من المجتمع الإسلامي قصور الرؤية السياسية والاجتماعية، وعجزها، وعدم امتلاك الرؤية الربانية الثاقبة والنافذة إلى أعماق المجتمع.

وقد يكون مبدأ هذه النظرة السلبية حبّ العافية وإيثار الحياة الوادعة والآمنة والمستقرة على خوض الحياة الشاقة والمتعبة والسير على طريق ذات الشوكة... وقد يكون غير ذلك.

التوجه السلبي لانتظار الإمام (عج):

وأيّا ما يكون السبب فان هذه النظرة القاتمة تجاه العمل تتخذ أحياناً من مسألة انتظار الإمام الحجة المهدي (أرواحنا فداه وعجّل الله فرجه) أداة لتبرير القعود والسكوت واليأس من العمل مستدلين بالروايات التي تدل على أن الله تعالى يؤخر ظهور الإمام الحجة (أرواحنا فداه)، إلى أن تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً، وبناءً عليه فيجب أن ننتظر ونصبر حتى تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً ليظهر الإمام وأي عمل إيجابي في مجال الجهاد والأمر بالمعروف يؤدي إلى تأخير ظهور الإمام (ع).

إنّ (الانتظار) في هذا الرأي يتحول من مفهوم إيجابي مثمر

وفاعل في حياة الإنسان إلى مفهوم سلبي وقعود عن العمل، وترقّب سلبي، من دون عمل.

إن ظهور الإمام المهدي (أرواحنا فداه) ليس بدعاً من سنن الله تعالى في الحركات والتغيرات والتحولات الاجتماعية والسياسية الكبرى.

وهذه التحولات تتبع سننا ثابتة لله تعالى في حياة الناس، لا سبيل إلى تغييرها وتعديلها، ومن هذه السنن دور العمل، والتحرك، والتخطيط، والصدق، والإخلاص في تغيير المجتمع، وإسقاط مرحلة من التاريخ، وبناء مرحلة جديدة.

وظهور الإمام الحجة (عج) لا يخرج عن دائرة هذه السنن والقوانين الاجتماعية.

صحيح أنّ الله تعالى يؤخر ظهور الإمام (ع) إلى أن تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً، ولكن من الطبيعي جداً في سياق السنن والقوانين الاجتماعية أنّ الأرض لا تمتلئ بالظلم والجور دون أن يؤدي ذلك إلى تكوين محور آخر للقوة على وجه الأرض، وهو محور التوحيد والعدل والصلاح، وبقدر ما تتسع رقعة الظلم في

الأرض يقوى محور التوحيد والعدل ويستقيم عوده، ويتجمع شتات القوى الصالحة الخيّرة حول هذا المحور. وبقدر ما يزداد شرّ الطغاة وظلمهم وفسادهم وتنكشّف فضائحهم السياسية والأخلاقية يزداد الناس ثقة بهذا المحور الجديد، وتقوى قابلية هذا المحور السياسي وقدرته على استقطاب المحرومين والمستضعفين على وجه الأرض، من كل الشعوب والألوان والقوميات، وبالتدريج تتكوّن من هذا المحور بذرة الانطلاقة الجبارة التي يقودها الإمام المهدي (أرواحنا فداه) والذي بشّر به رسول الله ﷺ في أحاديث أجمع عليها المسلمون.

وتنمو بذرة هذه الانطلاقة، ويقوى هذا المحور السياسي إلى جنب اتّساع رقعة الفساد وانتشار السقوط، فإذا امتلأت الأرض فساداً، كان إلى جنبه أساسٌ قويٌ وقاعدة متينة للانطلاق وللتغيير والإصلاح، يتولاها بقية الله على وجه الأرض وحجته عليه السلام.

وهذا التفسير في رأينا هو التفسير العلمي والموضوعي الذي ينسجم مع سنن الله تعالى في المجتمع قبيل ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

في انتظار الإمام، أم في انتظار الأمة؟

ولذلك فان القضية تنقلب، بعكس الأطروحة المعروفة في توقّع ظهور الإمام وانتظاره من قبل الأمة، فنقول: إن الصحيح أيضاً، أن الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف ينتظر العمل من الأمة والانطلاق، والثورة، والحركة، والبناء، وإعداد المحور السياسي الصالح في الأرض، في قبال قوى الشرّ والفساد، ليحين وقت ظهوره، وليقرب خروجه.

إن خروج الإمام المهدي عليه السلام يرتبط بسنّة إلهية ثابتة. وهذه السّنة تشكّل محوراً سياسياً للقوى الصالحة على وجه الأرض، وتيقظ القلوب والنفوس والضمائر الصالحة والمظلومين والمحرومين والمستضعفين على وجه الأرض، فيقود الإمام هذه المسيرة البشرية الجديدة، ويتولى قيادتها وتوجيهها، وتتحرك هذه المسيرة في ركب الإمام.

وإذن فان التحرك والعمل والجهاد، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هي مفاتيح ظهور الإمام ووسائل خروجه وثورته الكبرى.

ولاشك أن هذه الوسائل من أهم عوامل خروج الإمام عليه السلام

والتمهيد والتوطئة لدولته المباركة.

وقد ورد في ذلك روايات كثيرة... ونحن نقدم فيما يلي إضبارة من هذه الروايات:

روايات الموطئين لدولة الإمام عليه السلام:

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يخرج رجل يوطئ لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله، وجب على كل مؤمن نصره**».

وروي عنه صلى الله عليه وآله: «**يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي**»[1].

وروي عنه صلى الله عليه وآله: «**يأتي قوم من قبل المشرق ومعهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملأها قسطاً كما ملؤها جوراً. فمن أدرك ذلك منكم، فليأتهم ولو حبواً على الثلج**».

وأمثال هذه الروايات كثيرة.

---
(١) غيبة النعماني: ١٧٤.

إن المدلول الايجابي للانتظار في عصر الغيبة هو التهيؤ لاستقبال خروج الإمام عليه السلام والجهاد بين يديه، وتوقع ظهور الإمام عليه السلام أية لحظة، والانتظار بهذا المعنى يملأ النفس أملاً وثقة ورجاءً، ويحول دون أن يتمكن اليأس من نفس الإنسان.

إنّ الأمة التي تتوقع خروج الإمام وقيام دولة الإسلام لا يتمكن اليأس منها، وعندما يتحكم الأمل في سلوك الإنسان وأعماله وتصرفاته، ينطلق باتجاه إيجابي وفاعلي في الحياة.

إنّ الأمل يبعث في الإنسان الروح والحياة والفاعلية والشجاعة والإقدام، ويفجر في نفس الإنسان الطاقات والكفاءات والإمكانات التي أودعها الله تعالى فيها.

إنّ الإنسان المسلم عندما يواجه الواقع الإنساني الفاسد في كل المجالات لا يطغى عليه اليأس، وتبقى نافذة الأمل في الإمام المهدي الذي بشّر به رسول الله صلى الله عليه وآله مفتوحة أمامه، فلا تخمد جذوة الأمل في نفسه.

والأمل هنا يستتبع الحركة، لأن الانتظار يتطلّب الإعداد والتحرك.

إنّ الذي ينتظر حلول ضيف كريم في بيته، ويتوقع أن يحلّ عليه هذا الضيف في أي لحظة، يكون في حالة استعداد دائم وتأهب مستمر.

والأمة التي تتوقع خروج إمام قائد يتولى قيادة البشرية جميعاً على وجه الأرض، ويقود الثورة الكونية الكبرى في حياة الإنسانية، وتتوقع خروج هذا الإمام القائد في أي لحظة... لابد أن تعد نفسها لاستقبال الإمام والجهاد في ركبه في سبيل الله.

ولابد أن تعمل لإعداد المجتمع لاستقبال الإمام والمشاركة في الثورة الكبرى وإنجاحها.

وهذا هو سرّ قيمة الانتظار.

إن الانتظار السلبي لا قيمة أو لا دور له في حياة الإنسان، وإنما يتحول الانتظار إلى قيمة حركية ثورية في حياة المجتمع إذا تحول الانتظار إلى قضية إيجابية في حياة الأمة.

وبالتأكيد هذا المفهوم الايجابي والحركي للانتظار هو المقصود للروايات والأحاديث الواردة في قيمة الانتظار، واليك شطر منها:

في كمال الدين عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام)، قال: «**المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله**»[1].

وعن سيد العابدين (عليه السلام)، قال: «**انتظار الفرج من أفضل الأعمال**»[2].

وفي البحار عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال: «**انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإنّ أحب الأعمال إلى الله عزّوجلّ انتظار الفرج**»[3].

وعنه (عليه السلام)، قال: «**الآخذ بأمرنا غداً في حظيرة القدس، والمنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه في سبيل الله**»[4].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن أميرالمؤمنين (عليه السلام)، قال: «**أفضل عبادة المؤمن انتظار الفرج**»[5].

---

(١) كمال الدين ٢: ٦٤٥/ الباب ٥٥، ذيل الحديث ٦.
(٢) كمال الدين ١: ٣٢٠/ الباب ٣١، ذيل الحديث ٢.
(٣) بحار الأنوار ٥٢: ١٢٣/ الباب ٢٢، الحديث ٧.
(٤) بحار الأنوار ٥٢: ١٢٣.
(٥) بحار الأنوار ٥٢: ١٢٦.

الرؤية الثاقبة للمؤمن:

ونعود إلى حيث كنا من أطراف هذا الحديث فنقول: إن رؤية المسلم الواعي الداعية تختلف عن رؤية غيره من الناس في هذه الصفة النفوذية.

إن عامة الناس لا يرون غير السطح الظاهر من المجتمع وما يتناوب عليه من أمراض وعلل وآفات. أما العاملون في سبيل الله، الدعاة إلى الله فيملكون رؤية نافذة، ثاقبة، تنفذ إلى الأعماق البعيدة من المجتمع، ويرون من المجتمع ما لا يراه الآخرون.

وهذه الرؤية الثاقبة التي تنفذ إلى عمق المجتمع، حيث تكمن منابع الثروة الإنسانية، هي مبعث الرؤية والتصورات الطافحة بالأمل، وبعكس ذلك فان الرؤية السطحية إلى المجتمع تكون مصدراً لليأس والخوف في حياة الإنسان.

وتتحول هذه الرؤية الطافحة بالأمل في حياة الدعاة إلى الله تعالى إلى تحرك، وجهاد، وعمل، وتغيير، وثورة، وبناء، وكما تتحول المادة إلى طاقة، في عالم الطبيعة كذلك تتحول الرؤية والتصور إلى حركة وعمل في المجتمع.

إن العمل التغييري والثوري في المجتمع لا يتم بدون الأمل الباعث والمحرك للإنسان، ولا يتأتى للإنسان هذا الأمل ما لم يملك هذه الرؤية النافذة التي تخترق القشرة الفوقية من المجتمع، وتبلغ الأعماق العامرة بالخيرات.

الأعماق غير المرئية للإنسان:

وما ذكرنا عن المجتمع يصح في الفرد أيضا، فإنّ للفرد ظاهر وباطن، وسطح وعمق. وظاهر الفرد كظاهر المجتمع يعلوه زبد من الشهوات والأهواء، وتتناوب عليه الانفعالات، فيغضب لكلمة، ويضحك لأخرى، ويخرج عن طوره بأدنى شيء، ويخضع لشهواته كما تخضع الحيوانات، وتثيره الغريزة، وتتحكم فيه الأهواء والشهوات، ويتصرف فيه حب الدنيا، ويلعب بعقله وفكره حب المال والجاه، وتتقاذفه الشهوات من كل صوب.

ولكن هل هذا هو كل شخصية الإنسان؟

بالتأكيد لا، إن أبعاد شخصية الإنسان أعمق من هذه القشرة الفوقية التي تنتابه الانفعالات والشهوات. ولو كان هذا السطح الظاهر من حياة الإنسان يعبّر عن كل أبعاد شخصية الإنسان، لما

كنا نجد مجالاً في حياة الإنسان، لكل هذه الخيرات والأعمال الصالحة.

إن هذه الثورة الإسلامية الكبيرة لم تقم على أكتاف الملائكة، وإنما نهض بأعبائها هؤلاء الناس. وهؤلاء الناس الذي تحملوا أعباء هذه المسيرة الضخمة لم يكونوا في الغالب من النخبة الواعية في المجتمع، وإنما كانوا من عامة الناس، من الذين تتناوب عليهم عوامل الخير والشرّ، ومن عرض الشارع، استطاعت الثورة أن تنفذ إلى أعماق فطرتهم، وتستخرج من أعماق نفوسهم كنوزاً من الشجاعة والتضحية والإخلاص، كانت مخبوءة قبل الثورة تحت أنقاض الشهوات والأهواء والتربية الاجتماعية الفاسدة.

وكانت الثورة لهؤلاء بحكم الانتفاضة الداخلية التي فجّرت الثروات المعنوية والقيم الكامنة في نفوسهم، ونفضت عنهم غبار الحياة المادية وما يستتبعها من الشهوات والأهواء.

وأبرزت من وراء هذا الغبار والصدأ المعالم الحقيقية للشخصية الإسلامية.

إن هذه الملاحظة عن ظاهر وعمق الشخصية الإسلامية، ملاحظة جديرة بالدراسة والاهتمام في حقل التربية الإسلامية ومجالات الوعظ والإرشاد والتذكير والعمل والتغيير والتحريك.

الذين ينظرون إلى الإنسان المسلم من خلال تعامله في الأسواق، ومن خلال علاقاته المادية وتأثّره بالأهواء والشهوات، ومن خلال نظرة اللامبالاة التي تظهر على سلوكه وكلامه تجاه المسائل الإسلامية، يكاد أن يصيبه اليأس من تغيير هذا الإنسان وتحريكه وتهذيبه وتوجيهه وتعبيده لله تعالى.

ولكن حالات التحوّلات العميقة التي يتعرض لها هؤلاء الناس فرادى وجماعات، بين حين وآخر، وبمناسبة وأخرى، تكشف عن وجود رصيد كبير من النور والهدى والقيم والفضائل الإنسانية في نفوسهم... يتجلى هذا الرصيد في حالات التحول والانقلابات الكبرى التي يتعرض لها هؤلاء.

ومثل هذه الحالات والانقلابات في الشخصية كثيرة جداً. ونسمع الكثير نحن عن أشخاص كانوا قد انغمسوا في الشهوات والأهواء فأراد الله تعالى لهم خيراً، فانتزعهم مرة واحدة من

عالمهم وتعرضت حياتهم لثورة شاملة وعميقة وتحوّل عميق وانقلاب مفاجئ.

إن الشرائح الإنسانية التي نراها اليوم في ساحة الثورة الإسلامية في إيران والعراق على جبهة القتال الإسلامية، وداخل زنزانات حزب البعث في العراق، ومن المسيرات المليونية في إيران، وفي صفوف المجاهدين العراقيين المهاجرين بدينهم من شرذمة البعث. أقول: إن الشريحة البشرية المتواجدة في ساحة الثورة الإسلامية في إيران والعراق وغيرهما من أقطار العالم الإسلامي... جديرة بالدراسة والتأمل العميق من قبل المربين والوعاظ.

إن هؤلاء الأبرار جاءوا من أوساط الشعب المضطهد، وليس من أوساط ومدارس نموذجية، وكان كثير منهم من الأميين الذين لم يدرسوا في المدارس، ولم يتخرجوا من المعاهد، ولم يقضوا فترات طويلة أو قصيرة في التأمل والتفكير، ولم يتعرضوا لتجارب طويلة تزودهم خبرة ونضجاً ووعياً، ولم يتتلمذوا على أقطاب الفكر والتربية، ولم ينته بعد ربيع أعمارهم، ولم ينشأوا في عوائل عريقة في الوعي والإخلاص والفكر والجهاد، بل كان الكثير منهم

لا يعرف صلاة ولا صياماً من قبل، ولا يفتح القرآن، ولا يفهم أوليات التديّن.

... ومع هذه النشأة العادية جداً نجد أن الثورة الإسلامية استطاعت أن تصنع في نفوس هؤلاء المعجزات، وتبعث هؤلاء بعثاً جديداً، وتمنحهم ولادة جديدة، وانقلاباً داخلياً شاملاً وعميقاً، وقفزة تغييرية كبيرة، إنّ هؤلاء الشباب وكثير منهم يافعون، لم يتجاوزوا بعد البدايات من ربيع حياتهم استطاعوا أن يقطعوا في هذه الفترة الروحية أشواطاً من السير والسلوك إلى الله تعالى لا يقطعها الإنسان عادة إلا بعد عمر طويل يقضيه في المعاناة والعمل وجهاد النفس والتأمل والتعليم وترويض النفس.

إنّ هذه المسافة التغييرية الطويلة التي يقطعها هؤلاء اليافعون من التيه والضياع والانقطاع عن الصلاة والصيام إلى قمم الشهادة، والشهود، والإخلاص، والتضحية، والزهد، والمناجاة، والبكاء، والتضرع بين يدي الله في ساحة القتال، واستقبال الموت بشوق ولهفة صادقة...

أقول: إن هذه المسافة لمسافة طويلة في حساب الزمان إذا أراد

الإنسان أن يتدرج فيها ويسلك هذا الطريق سيراً تدريجياً، ولكن هؤلاء الشباب قطعوا هذه الأشواط الطويلة بقفزة واحدة، ورزقهم الله تعالى من المعرفة، والإخلاص، والذكر، والتضحية، والإقدام، والوعي، والبصيرة ما لا يتوفر لعامة الناس إلا في مسيرة طويلة وشاقة.

ولاشك إنّ هذه التحولات والانقلابات الداخلية أعظم من انقلاب النظام نفسه ولا قيمة لانقلاب النظام إذا لم يرافقه مثل هذه الانقلابات والتحولات في شخصية الإنسان.

إن الأيام المشهودة في التاريخ هي من أيام الله. وقد فتح الله تعالى في هذه الأيام أبواب رحمته على عباده أكثر من أي وقت آخر، والسعيد من عرض نفسه على رحمة الله، والشقي من يحرم رحمة الله تعالى فيها.

«**إنّ لله في دهركم هذا نفحات ألا فتعرضوا لها**».

ولاشك أن هذه الثورة المباركة نفحة من تلك النفحات الربانية المباركة في حياة الناس أصابت هذه الأمة الخاملة فبعثت فيها الحياة والحركة والإيمان والإخلاص والتضحية.

والشقي من يحرم هذه الرحمة الإلهية الموصولة في مثل هذه الأيام.

ومهما يكن من أمر، فإنّ هذه التحولات الكبيرة التي حدثت بعد الثورة في محتوى ومضمون الشخصية الإسلامية كشفت عن حقيقة هامة هي وجود أعماق صالحة وغنية في نفس الإنسان المسلم المعاصر، لم ينفذ إليها الفساد، ولم يصادرها الشيطان بعد.

وهذه الأبعاد غير المرئية تعطي للمربين والوعاظ والعاملين في سبيل الله فرصة جيدة للعمل في أوساط هذا الجيل لانتشاله وتعبيده لله تعالى وتوجيهه وتخليصه من أدران الحياة المادية المعاصرة.

عندما تموت الشجرة من جذورها :

وتبقى هذه الصلاحية في النفس، هي الأساس والقاعدة في التعامل مع الإنسان. فلا يزال في نفس الإنسان رصيد كبير من الفطرة ظاهر على سلوكه أو مدّخر في أعماق نفسه. وهذا الرصيد هو أساس الثقة بالإنسان، مهما انتشر الفساد في حياة الإنسان، ومهما عمته الأهواء والشهوات، إلا أن ينفذ بالتدريج في أعماق

نفسه ويتسرب إلى كنوز الفطرة المدخرة في نفسه فيفسدها بمرور الزمن. فلا يبقى عند ذلك أمل ورجاء في مثل هذا الإنسان، ولا يبقى له من خيار إلا الهلاك والسقوط الكامل... نعوذ بالله.

وقد واجه نوح عليه السلام في قومه هذه الحالة من نضوب الفطرة والسقوط فدعا ربه أن لا يذر منهم على الأرض دياراً.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾[1].

وتأملوا قليلاً في قول نوح: **﴿وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾** انه يكشف عن نضوب كامل للفطرة في أعماق هؤلاء، ويأس كامل من صلاحهم، وفي هذه الحالة فسوف لا يلدون إلا فاجراً وكفاراً، ولم يبق أمامهم إلا الهلاك والسقوط.

والذي ينظر إلى الحضارة المادية المعاصرة في أمريكا وأوروبا وروسيا والصين يعرف أن النتيجة التي تنتظر هذه

---

(١) نوح: ٢٦ـ ٢٧.

المجتمعات الغارقة في اللهو والفساد والعدوان لا تختلف عن النتيجة التي أصابت قوم نوح.

فعندما يستأصل الفساد كل جذور الفطرة في نفس الإنسان، وينضب الخير في أعماق النفس يأتي دور التصفيات الإلهية الكبرى في تاريخ الإنسان.

إنّ هذه الحضارة تشبه بناءً شامخاً يزهو، ولكنه منخور ومتآكل من الداخل، لا يعلم أحد متى ينهار، ولا يكون إلا بغتة وبصورة مفاجئة.

بينما نجد نحن أن العالم الإسلامي يستقبل مرحلة جديدة من حياته تتصف بالصحوة واليقظة والتحرك والثورة والبناء... فإنّ الحضارة الغربية تسير سريعاً باتجاه نتيجة حتمية هي السقوط والانهيار الكامل.

إن الأمة الإسلامية، رغم كل المآسي التي مرت عليها خلال هذه الفترة من الاستعمار والخمول... أمة مباركة ذات أصالة وعراقة وعمق، وتحتفظ برصيد كبير من الإيمان والكفاءة والتضحية.

وقد أثبتت هذه الحقيقة تجارب كثيرة في تاريخنا البعيد والقريب، أخيرها وليس آخرها الثورة الإسلامية المباركة في إيران التي أثبتت أصالة وسلامة الأمة.

ولابد لكل العاملين في سبيل الله والحركات والأحزاب الإسلامية من وعي هذه الحقيقة واستيعابها والانطلاق إلى العمل من قاعدة الثقة بالأمة والأمل ورجاء رحمة الله الواسعة.

وهذه هي الرؤية التي تعاملت الثورة الإسلامية من خلالها مع المجتمع الإسلامي ومع الفرد المسلم. ولكي تمتد الثورة، وتواصل دورها في المنطقة الإسلامية... لابد من أن نحافظ قبل كل شيء على سلامة الرؤية وصفائها ونقاوتها، ونحذر من الرؤية البائسة والقاتمة تجاه الفرد والمجتمع، وننطلق إلى تحريك المجتمع الإسلامي الكبير بهذه الرؤية الإسلامية الطافحة بالأمل والواثقة بتأييد الله تعالى ونصره.

حضور الأمة في ساحة الثورة:

إنّ من أهم عناصر القوة في الثورة الإسلامية في إيران الحضور الواعي للأُمّة في الساحة السياسية، فما يكاد يواجه الثورة خطر من

قريب أو بعيد، أو مؤامرة تُنْسج خيوطها في خفاء حتى تنحدر الأمة إلى الشوارع، غاضبة، متحدية، صارخة، مزمجرة، في صفوف متراصة، متلاحمة، ولا تعود، حتى تطمئن على ثورتها واستقرارها.

وإلى جانب هذه الثورة الغاضبة للأمة التي لا تبقي ولا تذر على العدو ومخططاته، إلى جانب ذلك تتميز هذه الأمة بصبر غريب على تحمل أعباء الثورة وتبعاتها والإغضاء عن تجاوزات المنافقين عندما يتطّلب الأمر الصبر أو الإغضاء.

فقد كانت الأمة تعلم بالخطط المبيتة لضرب الثورة والقضاء عليها من ناحية بني صدر رئيس الجمهورية والعصابة التي التفّت حوله من المنافقين وأعداء الثورة، وكانت تغلي النفوس المؤمنة غضباً على ما يجري في الساحة الداخلية من ناحية هؤلاء النافقين وهي تواجه حرباً مصيرية على الحدود الجنوبية والغربية، وتكافح حصاراً اقتصادياً يشلّ حركة الأسواق ويضايق الناس في معايشهم.

الانضباط السياسي والحزم:

ولكنها كانت تمارس بحزم ضبطاً للنفس بدرجة عالية وتقف بصبر منتظرة إشارة القائد.

وعندما انحدرت إلى الشوارع كالسيل الهائج، واكتسحت عن طريقها الرئيس المنحرف وإعلامه وجهازه والفئات والجماعات الملتفة حوله لم يكن قد نفذ صبرها، كما قد يخطر على البال وإنما كانت قد تلقت الضوء الأخضر بذلك من الإمام رحمه الله.

وقد شهدت صلاة الجمعة في طهران، التي أعقبت خطاب (بني صدر) المعروف في جامعة طهران، والذي إستثار الأمة وأغضبها أكثر من أي وقت آخر، وكانت جماهير الأمة يومها غاضبة، ساخطة، تزمجر، وتصرخ بالموت لبني صدر وزمرته، فلما تقدم إمام الجمعة إلى منصة الخطابة، توجهت الهتافات الصارخة إليه تطالبه بفضح الرئيس والمطالبة بتنحيته.

فبدأ إمام الجمعة يدعو الناس في وسط هذه الصرخات الغاضبة إلى السكوت والصبر وتجنب ذكر أي شخص باسمه، والالتزام بموقف الإمام بدقة، فلم أشعر إلاّ وقد استسلم هذا الجمهور المليوني الغاضب الهائج لدعوة إمام الجمعة، وسكت، وهدأ، كأنّما لم يحدث شيء، وكان يجلس إلى جنبي صديق لي يزور إيران فرأيت آثار الاستغراب على وجهه فقلت له: مم

تعجب؟ قال لي: أي سحر يملكه إمام الجمعة على هؤلاء الناس؟ فقلت له: لو كنت تعكس السؤال، فتقول أي طاعة وثقة يتمتع بها هذا الجمهور تجاه قضاياه المصيرية؟... لكنت أقرب إلى الصواب.

وهذا هو بعض السرّ في نجاح الثورة وقوّتها واستمراريتها، رغم كل محاولات القوى المعادية للثورة الإسلامية من الداخل والخارج.

ومن ينظر إلى صبر الأمة وتحملها لأعباء الثورة، والحرب، والحصار الاقتصادي، ومضايقات المنافقين، وتحركهم، وما تقدمه هذه الأمة من تضحيات من أفلاذ أكبادها، وهي واقفة بصبر وحزم، يقول: ما أصبر هذه الأمة وأكثر انقيادها وتحملها وطاعتها، ومن ينظر إليها هائجة، غاضبة، تنحدر إلى الشوارع، كالسيل، ينحدر من (عل)، لا يبقي ولا يذر على أعداء الثورة وخططهم وجذورهم وعلاقاتهم، يقول ما أغضب هذه الأمة وأسرعها إلى الثأر والانتقام.

الحضور الواعي في الساحة:

ويتميز الحضور الجماهيري للأُمّة في الساحة السياسية بوعي

سياسي منقطع النظير، ودقة فائقة في فهم القضايا السياسية ووزنها بموازين الحق.

وبعكس ما يتصوره البعض من الطبيعة الغوغائية للجمهور، وغلبة العقل الجمعي في تصرف الجماهير وتحرّكها. فإن الساحة الإسلامية في الجمهورية الإسلامية شهدت خلال هذه السنوات التي أعقبت قيام الثورة الإسلامية حضوراً واعياً للجماهير، يتميز بالفهم الدقيق والرؤية الواضحة، بالإضافة إلى ما تقدم من قوة، وهياج، وضبط للنفس، يبعث على الإعجاب والاعتزاز.

فقد كانت الصحف ووسائل الإعلام التي كان يديرها النفاق في إيران مثل (الانقلاب) و(الميزان) و(جبهة ملي) و(المجاهد) وغيرها، والخطابات والمحاضرات التي كان يلقيها هؤلاء تركز بخبث على تشكيك الأمة بقيادة الثورة، من خلال إلقاء الأضواء الكاشفة على الظروف الاقتصادية الصعبة التي تمر بها الثورة، والمتاعب السياسية والإدارية والاجتماعية والعمرانية والأمنيّة التي تمر بها الأمة كنتيجة طبيعية لظروف ثورة شاملة كالثورة الإسلامية في إيران.

وكان من الطبيعي أن يكون لهذا الإعلام المعادي دور مؤثر في تضليل الناس، فلا يكاد يعي التعقيدات التي تواجهها الثورة الإسلامية عالمياً وداخلياً إلا قلة من الناس، أما غالبية الناس فهم أقرب إلى المحسوس في فهم أمثال هذه القضايا منهم إلى المعقول، ولكننا لا نكاد نملك أنفسنا من العجب عندما نجد المسيرات الحاشدة المليونية من الناس تخرج إلى الشوارع، وتهتف بحياة الثورة، والقائد الإمام الخميني أعزه الله، ورجال الثورة، وباستعدادها لتحمّل المزيد من المتاعب والصعوبات، واجتياز المزيد من العقبات التي تعرقل مسيرة الثورة، والتي يزرعها الاستعمار العالمي هنا وهناك في مسيرة الثورة.

وكان الاستعمار الغربي يعتمد بعد انهيار خطه الأول ـ النظام الشاهنشاهي ـ على الخط الثاني (الجبهة الوطنية والقومية)، وكانت الجبهة الوطنية قد بذلت أقصى ما يمكن من جهد لتخلق من (مصدق) بطلاً وطنياً أسطورياً للإيرانيين، ومن رجالها الأحياء خلفاء لمصدّق... وكانت أمريكا تعتمد على الجبهة الوطنية لتخلف النظام الشاهنشاهي على الحكم، لتحفظ مصالحها في هذه

المنطقة، إلا أن هذه الجبهة باءت في أول تجربة اجتماعية لها في انتخابات مجلس الشورى الإسلامي بفشل ذريع، أسقط كل حساباتها، وسقط مصدق من أعين الناس، وعاد هذا البطل القومي الأسطوري مسبة للناس.

ورغم كل الدعايات المعادية التي قامت بها أبواق دعايات المنافقين ضد الحزب الجمهوري والحوزة العلمية في قم والهيئة العلمية في طهران والمنظمات الإسلامية... كان يكفي أن يكتسب المرشح للمجلس توثيقاً وتزكية من هذه الهيئات والمنظمات حتى يفوز في الانتخابات. فلم يكن يعرف أكثر الناس المرشحين الذين فازوا في الدورة الأولى من الانتخابات، وإنما وضع الناس ثقتهم في القوائم الموحدة التي تقدمت بها هيأة علماء قم وطهران والحزب الجمهوري الإسلامي والمنظمات المعروفة بين الناس بالسلامة والنظافة.

ونظرة واحدة إلى نوعية النواب في مجلس الشورى الإسلامي وتوجهاتهم الإسلامية الواعية في القضايا السياسية تكفي لتكوين فكرة كاملة عن الوعي السياسي عند جماهير الأمة ودقة وسلامة الموازين التي يزن بها.

السمة العبادية لحضور الأمة في الساحة :

ومن أكثر ما يلفت النظر ويبعث على الإعجاب والاعتزاز في حضور الأمة في الساحة... إن هذا الحضور يكتسب صفة عبادية كاملة في ذهنية الأمة، تماماً، كما تكتسب الصلاة والصوم والحج هذه الصفة، وتُقَرّبُ الناس إلى الله تعالى.

فالناس يحضرون المسيرات المليونية، كما يحضرون الصلاة، ويحرصون على الحضور فيها، كما يحرصون على الحضور في المواسم الإسلامية العبادية، ويتقربون إلى الله تعالى في المساهمة في هذه المسيرات المليونية، كما يتقربون إلى الله تعالى في صلاتهم وصومهم وحجهم.

وأحياناً يحضرون هذه التجمعات كفريضة إسلامية، يحرم التفريط فيها. فالمشاركة في انتخابات رئاسة الجمهورية والمجلس فريضة إسلامية بحكم الإمامرحمه الله، وتوجهت الأمة بهذه النية إلى صناديق الانتخاب.

ومن الشواهد الحية على ذلك مشاركة ما يزيد على خمسة عشر مليون ناخباً في انتخابات رئاسة الجمهورية الثانية، رغم

ظروف الحرب الصعبة، وهجرة ما يزيد على مليون ونصف من منكوبي الحرب من بلادهم، وصعوبة إجراء الانتخابات في المناطق الكردية، ودعايات المنافقين المعادية، وتخويفهم للناخبين بتفجير مراكز الانتخابات، وكان حضور الأمة مع ذلك في الانتخابات بهذه الصورة أمراً مثيراً للإعجاب حقاً، وحتى العدو لم يستطع أن يخفي إعجابه بهذا التضامن والتلاحم الذي تتمتع به الأمة في مثل هذه الظروف الصعبة.

وهذا الإحساس يعطي للمسيرات والتجمعات الإسلامية صفة مقدسة، ويكسبها فعالية وقوة وتأثيراً منقطع النظير في نفوس المشاركين والمساهمين.

مشاركة المرأة:

ومن الظواهر الفريدة في الثورة الإسلامية في إيران مشاركة المرأة في الحضور في الساحة السياسية، بقوة إلى جانب الرجل، بزيها الإسلامي الوقور، وبأعداد ضخمة. وما أكثر ما يجد الإنسان في هذه المسيرات أُمّاً تحمل طفلاً وتصطحب آخر معها، ولا يعوقها ذلك من مواكبة مسيرة الثورة وأداء دورها الرائد في هذه

الثورة.

وقد أعادت هذه المشاركة الفعالة للمرأة المسلمة الثقة في نفسها وفي دورها ومسؤوليتها عن حماية الثورة، كما أعطت الرجل مزيداً من القوة والمقاومة. لقد شاركت المرأة الرجل في كل مراحل الثورة، وسبقته أحياناً في التضحية والإقدام، وبعثت في نفوس الرجال كثيراً من القوة والحزم، وقامت بدورها في صنع الثورة حتى في مراحل حرب الشوارع. وبذلك تقوم المرأة لأول مرة في تاريخنا المعاصر بدور سياسي فعال في الحياة السياسية الإسلامية في مواقف وأعمال مسؤولة وجريئة، ضمن الحدود الإسلامية، وتعطي جواباً عملياً حاسماً لكل الاتهامات التي كانت الحضارة الغربية تتهم بها المرأة المسلمة، وتضع الطبقة المُتْرفة من النساء المتأثرات بالحضارة الغربية أمام موقف محرج ومريب في آن واحد.

حضور الأمة الدائم في الساحة السياسية من أهم أسباب نجاح الثورة واستمراريتها:

وليس من شك أن هذا الحضور الدائم والواعي للأُمّة في

الساحة السياسية من أهم أسباب نجاح الثورة وتوفيقها واستمراريتها، فهو:

١ـ يشدّ الأمة بقيادتها، ويشعر القيادة بالثقة ويمنحها القوة، والفعالية، والقدرة على الحسم في المواقف السياسية التي تتطلب الحسم.

فالقيادة جزء لا ينفصل من الأمة تستمد عزمها وقوتها وإرادتها وجديتها، بعد الله تعالى، من الأمة. والأُمّة عندما تدعم قيادتها، وتقف إلى جانبها في متاعب الطريق، تمنحها القوة على الحسم والاستمرار والمضي، وتكسبها الفعالية والصبر والثقة والطمأنينة.

٢ـ تستشعر الأمة في نفس الوقت بوجودها. فالمنافقون يملكون من وسائل الإعلام وأساليبه الشيء الكثير. وهذه الوسائل مضلّلة، تجعل البعيد قريباً، والقريب بعيداً، والقليل كثيراً، والكثير قليلاً. وعندما ينظر المسلم من زاوية هذا الإعلام المضلل الداخلي والخارجي إلى الساحة السياسية، تضعف ثقته بالثورة وقدرتها على تجاوز هذه العقبات. ولكن لا يكاد يحشر نفسه في مسيرة من هذه المسيرات المليونية الحاشدة حتى يستعيد ثقته بالثورة والأُمّة،

ويشعر بنفسه وقوته وقابليته على تجاوز التحديات والعقبات كما يشعر بضآلة حجم العدو.

٣ـ ويخلق هذا التواجد في الساحة السياسية جواً من التعاون، والتفاهم، والتحابب، والتآلف، ووحدة المصير بين قطاعات الأمة وفئاتها المختلفة.

٤ـ ويمنح كل فرد من أفراد الأمة شعوراً طاغياً بأن هذه الثورة الإسلامية قضيته هو، وبأنه يدافع عن قضيته، ويساهم في أمرها، ويشعره بسهمه ودوره في بناء الثورة واستمراريتها. وما أدراك ما قيمة هذا الإحساس في بناء شخصية الإنسان المسلم وتحريكه ودفعه للعمل وإشعاره بدوره القيادي الرائد في بناء الثورة واستمراريتها وحمايتها من الاعتداءات.

الفهرس